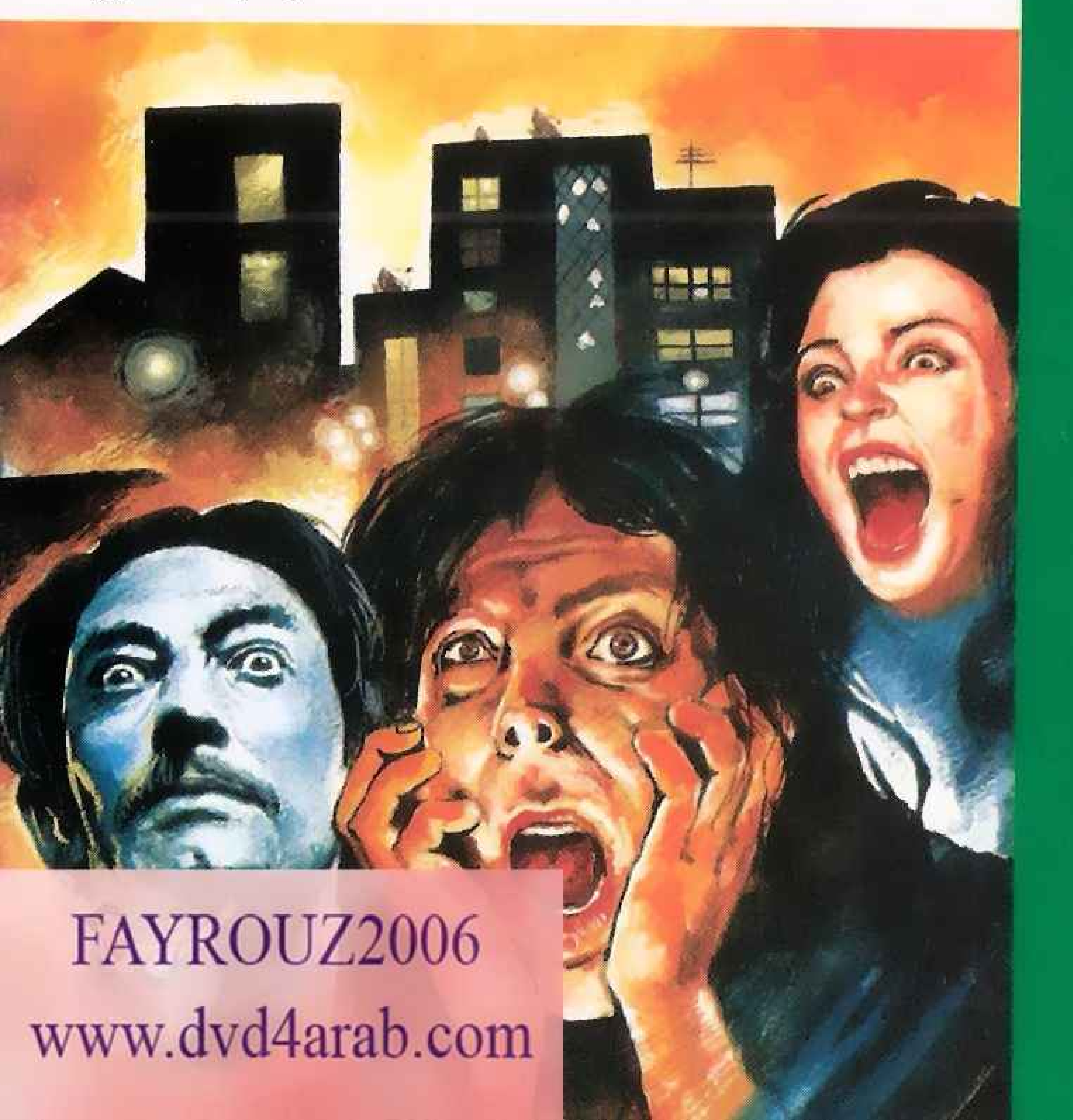
محمود صلاح

أشهر الحوادث والقضايا

عذاب الزوجات

وحوادث أخرى





اشهر

الحوادث والقضايا

●

الحـوادث العنيفـة
والقضـايا المثيـرة
التى روعت النـاس
وصـدمت المشـاعر

●

بقـلم

أ . محمـود صـلاح

●

إشراف

الأستـاذ / حمـدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع ٨، ١٠ شـارع المنطقـة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ت : ٦٨٢٣٧٩٢ـ ٥٩٠٨٤٥٥ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع ـ
الإسكندرية ٤ شارع بدوى / محرم بك ـ ت : ٠٣/٤٩٧٠٨٤٠ ـ ٠٣/٤٩٧٠٨٥٠





اشهر

الحوادث والقضايا

●

الحـوادث العنيفـة
والقضـايا المثيـرة
التى روعت النـاس
وصـدمت المشـاعر

عـذاب الزوجـات

وحـوادث أخـرى

محمـود صـلاح

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - الرقم البريدى : ١١٣٨١
ت : ٦٨٢٥٥٥٤ - ٦٨٢٣٧٩٢ أو الرقم المجانى : ٠٨٠٠٢٢٢٠٠٠٠

المقدّمة

عندما تغضب الدنيا ..

تثور ثائرتها .. زلازل .. وفيضانات .. وسيولاً ..

وعندما تعمى بصيرة الإنسان ..

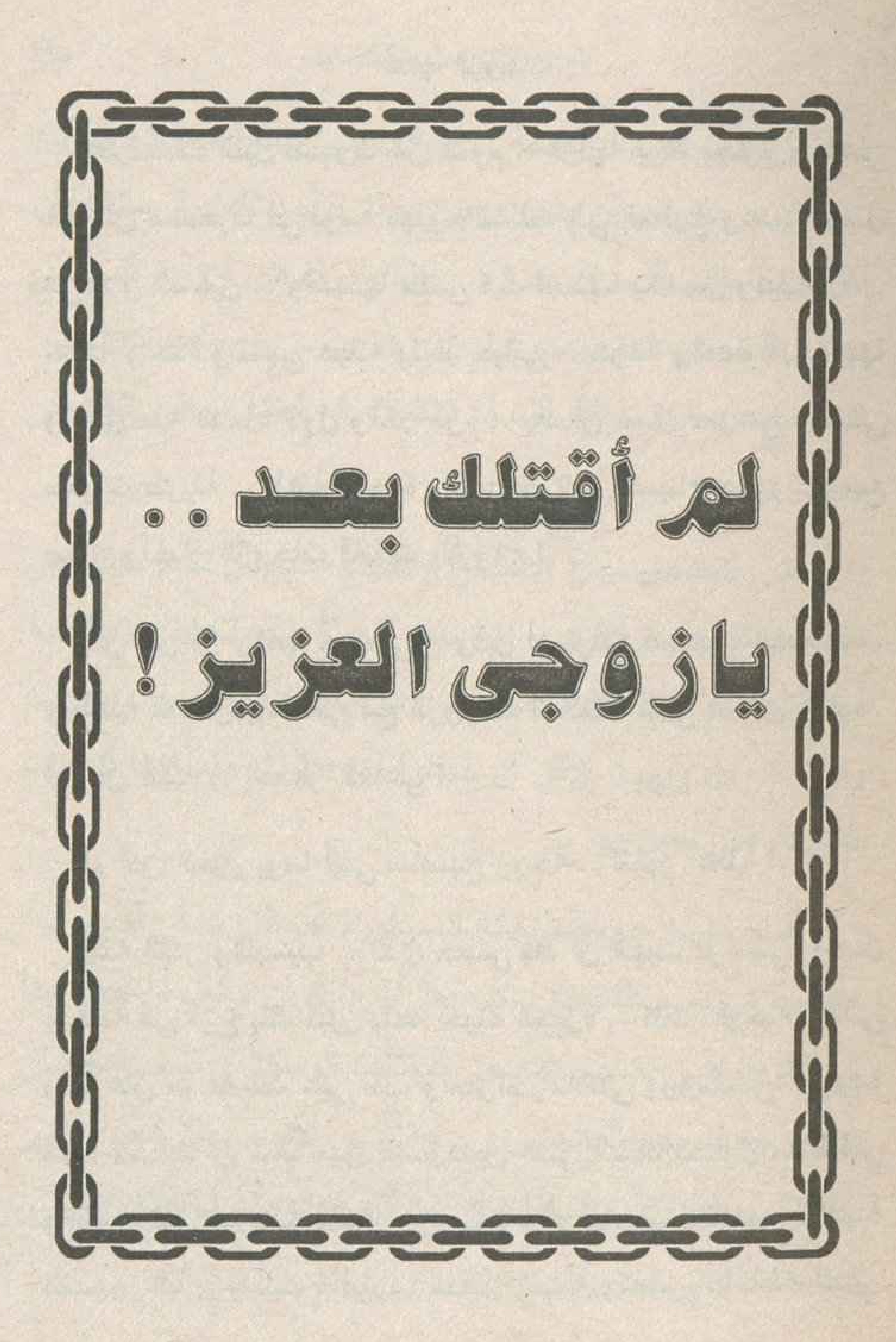
يشيع العنف على الأرض .. حوادث وحرائق ونارًا ..

لكنه أبدًا لايتعظ ..

لا من غضب الدنيا ..

ولا من شر أعماله !

محمود



بعد نصف الليل صحوت من النوم .. فرأيته يرقد بجوارى على الفراش مستغرقًا فى نومه بهدوء تسللت إلى المطبخ وعدت أحمل فى يدى السكين .. ومددتها حتى كاد نصلها يلامس رقبته آه .. حركة واحدة وتنتهى حياته وتنقذ حياتى .. حركة واحدة أذبحه بها وتسيل منه الدماء لأول وآخر مرة .. بعد أن أسال دموعى ودمائى سنوات طويلة .. طعنة واحدة وتنشر جرائد الصباح صورتى مع صور وأخبار الزوجات قاتلات الأزواج !

لكن قبل أن أرتكب جريمتى .. وقبل أن ترتفع صيحات الغضب .. ويطالب البعض بإعدامى مع الزوجات القاتلات فى ميدان عام .. قبل أن أقتله .. اسمعوا دفاعى !

لم أكن أتخيل يومًا أننى سأصبح زوجة .. لتاجر عملة !

لكنه القدر والنصيب .. الذى جعلنى بعد أن أنهيت دراستى أعمل موظفة فى فرع بنك كبير بأحد أحياء الجيزة .. كنت فرحة بعملى وسرعان ما حصلت على حب واحترام زملائى ورؤسائى .. وبعد فترة لاحظت أن شابًا من المترددين على البنك يحاول ملاطفتى والتودد لى بطريقة فظة .. وسألت وعرفت أنه تاجر العملة الشهير الذى يمتلك كافيتريا تحمل اسمه وتغطى نشاطه غير

المشروع فى تجارة العملة .. ورغم أننى صددته بحزم إلا أنه لم ييأس .. عرض أن يشترى لى سيارة أحدث طراز مقابل أن أخرج معه للنزهة مرة واحدة .. رفضت .. عرض أن يغرقنى فى هدايا المجوهرات والمصوغات .. رفضت .. بل وشكوت لمدير البنك بعد أن شكوت للمراقب ثم اكتشفت أنه يضع مراقب البنك فى جيبه .

وحتى أتخلص من الإلحاح وافقت على أن تتم خطوبتى لمهندس شاب من أقاربى ، لكن تاجر العملة الذى تحيط به حاشية من البلطجية من أهله ومعاونيه بدأ يتعرض لخطيبى ويضربه ويشتمه ، بل ووصل الأمر أن خطفوا منه حقيبته وبداخلها شيكات الشركة التى يعمل بها .

وأمام حصاره ومضايقاته المستمرة اضطررت أن أحرر له محضرًا فى قسم الشرطة ، لكنه بعد أن أدرك أن العنف لن ينفع بدأ فى التودد لأبى التاجر العجوز بمختلف الوسائل ، حتى إنه كان يستدرجه للسهرات الحمراء .. وانتهى الأمر بأن فسخ أبى خطوبتى وأجبرنى على الزواج من تاجر العملة أو يطلق والدتى ويشرد أخواتى .

وتزوجته مضطرة حتى أنقذ أمى من الطلاق !

وفى يوم الصباحية ، فوجئت بالباب يدق وفتحت لأجد أمه وأخواته .

قالوا لى : خطفت ابننا ؟

ثم انقضوا علىّ ضربًا وركلاً وسبًّا .. كل ذلك وهو واقف يتفرج .. وبدأت أكتشف أى نوع من الرجال ذلك الذى ربطت نفسى به مدى الحياة .. فقد بدأ يطلب منى طلبات لا يمكن أن توافق عليها أى زوجة محترمة .. وبدأ يتعامل معى بأسلوب الشتائم المهينة التى يعاقب عليها القانون .. كان يطلب منى عندما يعود فى المساء أن أجهز له (القعدة) .. الجوزة والحشيش والفحم .. وإذا رفضت يلف شعرى حول يده ويظل يضربنى حتى يتورم وجهى وتسيل دمائى .. وكنت إذا ذهبت أشكو لأهلى لا أجد منهم سوى الكلام ..

يقول أبى : معلش .. حا نعمل إيه ؟ وتقول أمى : اصبرى يا بنتى .. أدى الله وآدى حكمته !

لكن أى حكمة هذه فى أن يحبسنى زوجى ويعاملنى كأننى حيوان .. أذكر يومًا ضربنى علقة ساخنة وتمادى وأراد أن تبلغ سخريته منى أقصى حد فأجبرنى على أن أصعد فوق منضدة صغيرة وأخذ يضحك ساخرًا ويطلب منى أن أرقص مثل القرد .

ويقول بهيستيريا : ارقص يا ميمون .. يالا يا ميمون !

آه من هذا النائم فى هدوء وكأنه طفل برىء !

إنه شيطان .. يتصور أنه يملك الدنيا بنقوده .. وله الحق ؛ فالكل يخشاه ويخشى سطوته .. وكم من المسئولين أعرف أنهم أصدقاؤه .. بل وترددت على بيوتهم معه حاملين لهم الهدايا !

وأنجبت له طفلاً ثم أنجبت الثانى .. وتصورت أن الأولاد سيصلحون من حاله لكنى كنت واهمة .. فقد كان يضرب الأطفال بقسوة .. وذات يوم أراد أن يضربنى بكوب زجاجى .. فأصيب طفلى الصغير (٤ شهور) وتمكن الأطباء بصعوبة من إنقاذه بعد أن أغلقوا الجرح فى رأسه بـ ١١ غرزة .

وعندما صدر حكم بحبسه قلت لنفسى : إنها فرصتى لأتخلص من هذا الوحش وأنجو بأطفالى .. ورفعت دعوى أطالب فيها

بالطلاق .. وأخذت الدعوى تتأرجح والمحكمة تؤجلها .. ثم خرج زوجى من السجن ورغم أن كل الشهود شهدوا بأنه يضربنى ويسىء معاملتى ولا ينفق علىّ إلا أن المحكمة رفضت الدعوى .. وهكذا عدت مجبرة وذليلة إلى بيته !

ولم يتوقف مسلسل العذاب .. ووصل به الأمر إلى أنه ذات يوم أحرقنى وألقى بكمية من السبرتو علىّ ثم أشعل عود ثقاب وألقاه فى وجهى فاشتعلت النار فى جسدى ، وأخذت أصرخ كالمجنونة وهو واقف لا يتحرك .. وأخيرًا لففت نفسى ببطانية .. فطلب إخوته الذين نقلونى للمستشفى ، وهناك أخذ يتوسل إلى حتى لا أتهمه بحرقى .. وعندما عدت بعد أيام إلى البيت والضمادات تغطى جسدى .. عاد يترنح فى نفس اليوم وبلا شفقة أو إحساس بحالتى ، ضربنى بقسوة ؛ فسألته عما يريد .

فقال بصوت بليد : أريد حقى الشرعى !

وذهلت الشغالة وأخذت تسترحمه أن يرفق بحالتى .. ولولا حضور الطبيب لكان نصيبى العلقة إياها !

أنتم أيها الناس .. يا من تطالبون بقطع رقاب الزوجات القاتلات فى الميادين العامة .. اسألوا أنفسكم : لماذا تفكر إنسانة خلقها

اللّه ووضع بذور الحب والرحمة فى نفسها فى تمزيق جثة زوجها ؟ لماذا تتحول اليد الحنون التى تمسح الدموع إلى سكين تفجر الدماء ؟

إنها حصاد سوء المعاملة .. حصاد الحقد المكبوت .. وقلة الحيلة والضعف والذل .. بل إننى عندما ينام كنت أصلى وبعد الصلاة أقف أشكو لربى ضعفى وهوانى على الناس ففوجئت به يطرحنى أرضًا وأنا على سجادة الصلاة ويضربنى بعنف ويقول : يا بنت الـ ... هل تتهميننى بالظلم وتشكيننى إلى اللّه ؟

نعم .. (نم يا قاتلى) واستغرق فى نومك .. فنوم الظالم عبادة والمسافة بين سكينى ورقبتك .. أصبحت أقرب مما تتصور !

* * *

تانى .. الهباب عملها يا حبة عينى ؟!

هكذا قالت (الست عدلات) وهى تضرب صدرها بيدها عندما فتحت الباب لتجد ابنتها (يسرية) فى نفس المشهد الذى تكرر أكثر من مرة خلال الشهور الماضية .. تترك بيت زوجها فى الصباح الباكر غاضبة عائدة إلى بيت أهلها .. ودموعها على خديها !

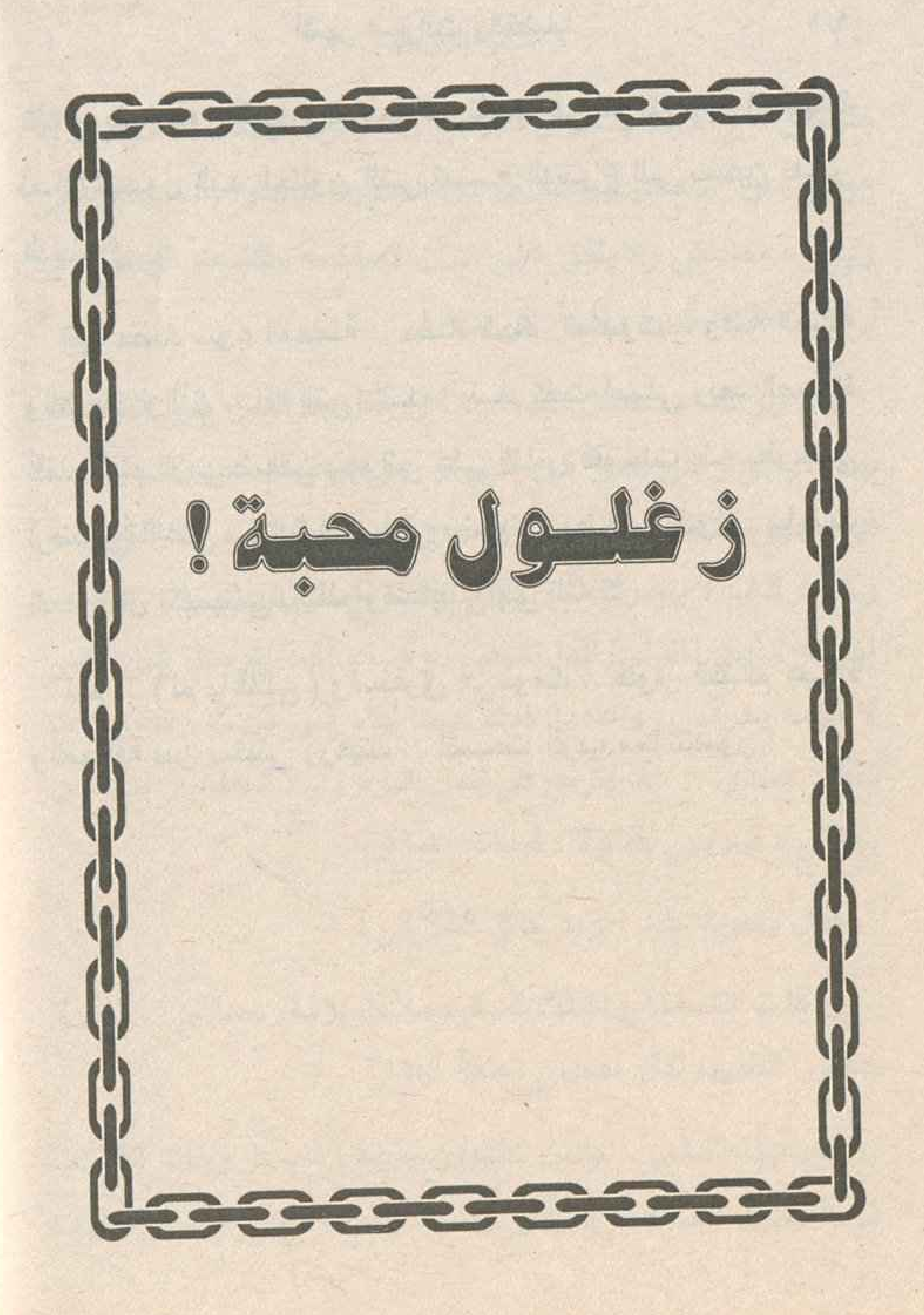
- « موش طايقنى يا ماما .. موش طايق يبص فى وشى » .

لخصت (يسرية) لأمها الموقف .. إنها نفس المشكلة تتكرر منذ زواجهما الذى لم يمض عليه أكثر من سنة مسحت لها أمها دموعها وسحبتها خلفها إلى المطبخ لتعد لها الإفطار وجلست الاثنتان الأم وابنتها فى مواجهة بعضهما تأكلان بشراهة وتتناقشان فى أبعاد مشكلة « الهباب زوج يسرية » .

قالت (يسرية) وكأنها تنوح : « أنا وحشة يا ماما ؟ »

ردت (الست عدلات) وهى تقذف فى فمها ببيضة مسلوقة :

- بعد الشر .. ده أنت قمر .



قالت (يسرية) : طيب ليه كل ما يشوفنى يقلب « بوزه » زى ما يكون شايف قردة .. ليه كل ما أكلمه يتجاهلنى .. ليه يسيب البيت ويروح يقعد مع أصحابه طوال الليل ؟

ردت (الست عدلات) : مالكش فى الطيب نصيب يا (مرسى) يا بن (زينب) !

سكتت (الست عدلات) لحظة وقد انقبضت أسارير وجهها حينما ذكرت اسم أم زوج ابنتها ، ثم تغيرت ملامح وجهها بعد الاستغراق الشديد وكأنها اكتشفت أمرًا خطيرًا ..

وقالت لابنتها فجأة : أنا عرفت السر !

وشرحت (الست عدلات) لابنتها الحزينة تحليلها لما يحدث قالت لها إنها تعتقد بل وتكاد تجزم بأن الهباب جوزها معمول له عمل .

سألتها (يسرية) مستنكرة : عمل إيه بس يا ماما ؟!

قالت (الست عدلات) : معمول له (صدة) عشان يكرهك ، أنت ناسية إنها كان غرضها يتجوز المفعوصة بنت أختها ؟

سألتها (يسرية) : طيب والحل ؟

ردت (الست عدلات) مبتسمة : موجود يا بنتى موجود .. نعمل له عمل عكسى .. يفسد مفعول (الصدة) ويرجع يحبك زى الأول .. قومى بسرعة قبل ما يرجع أبوكى من الشغل نروح نعمل العمل ده ..

سألتها (يسرية) : نروح فين ؟

قالت (الست عدلات) : ما فيش غيره .. (زغلول محبة) !

من سوء حظ (الست عدلات) أنها لم تكن الوحيدة ذلك اليوم التى ذكرت فى تقرير العقيد (محمد نور رمضان) رئيس مباحث الأحداث بالجيزة ، والذى وقف يقدمه للعميد (محمد إبراهيم) رئيس المباحث ؛ ليبلغه بمعلوماته عن المدعو (زغلول محبة) .

قال رئيس مباحث الأحداث : هو مشعوذ يقيم فى بولاق الدكرور ذاعت شهرته بين النساء بقدرته على عمل السحر بغرض حدوث المحبة والمودة بين الأزواج والزوجات .. مقابل ٢٠٠ جنيه للحجاب الواحد .. ولقد أكدت التحريات التى قام بها المقدم

(طارق النادى) والرائد (هشام سيف الله) أن طوابير من النساء المخدوعات فى قدرات (زغلول محبة) تصطف أمام بيته .

قال رئيس مباحث الجيزة : مادامت التحريات سليمة .. احصل على إذن من النيابة .. واقبض على المدعو (زغلول محبة) .. بكل محبة !

طال انتظار (الست عدلات) وابنتها حتى جاء دورهما .. ومن حسن حظها أنها كانت بالأمس فقط قد قبضت دورها فى الجمعية التى تشارك فيها جاراتها فدفعت (لزغلول محبة) (الفزيتة) بعد أن أخبرها أنه شخصيًا لن يدخل جيبه مليم ؛ فالعمل يكلف كثيرًا .. دم حمام وعيش بايت وجمجمة شخص ميت .. وأخيرًا بيضة مسلوقة كتب عليها بماء الزعتر عبارة : (ألقيت عليك محبة منى) ! ثم اسم (يسرية) واسم أمها واسم الهباب زوجها واسم أمه (زينب) .

وأعطى (زغلول محبة) البيضة (ليسرية) قائلاً : على الريق .. ومن غير ما يشعر زوجك .. تقشرى البيضة ويأكلها بالهناء والشفاء .. على طول حايحبك .. وتبقى تدعى لى !

وقبل أن تشكره (الست عدلات) ارتفعت الصرخات فى المكان !

كان النقباء (علاء عزام) و(أيمن عبد الرحمن) و(صلاح فهمى) قد اقتحموا وكر (زغلول محبة) وألقوا القبض عليه .. وعلى كل النساء الموجودات بما فيهن (يسرية) وأمها (الست عدلات) واقتيد الجميع إلى مديرية أمن الجيزة .

سألت العقيد (محمد نور) رئيس مباحث الأحداث : وكيف انتهت القضية ؟

قال : النيابة أمرت بحبس (زغلول محبة) وأحالته للمحاكمة بتهمة النصب والدجل والشعوذة .

سألته : و(الست عدلات) ؟

استغرق رئيس مباحث الأحداث فى الضحك وكأننى ألقيت عليه نكتة .. ثم قال : مسكينة (الست عدلات) .. لقد اضطررت للبقاء فى مديرية الأمن مع الجميع حتى الصباح لحين عرضهن على النيابة .. وطوال الليل ظل زوجها يبحث عنها بلا جدوى فى كل مكان .. وعندما اتصلنا به وجاء وقف ينظر لزوجته فى ذهول بعد أن عرف القصة ، ثم فجأة اندفع يجرى إلى الخارج .

صرخت فيه ابنته بلهفة : على فين يا بابا ؟

جاء صوت الرجل وهو يجرى : أخيرًا « انفكّ » العمل .. على المأذون علشان أخلص من أمك المجنونة !

★ ★ ★

تذكرة سفر .. هدية !

حين تنوح أم على ضناها تتوقف الأشجار عن التنفس والزهور عن التفتح .. وتلوذ بقية مخلوقات اللّه البريئة بصمت التأثر والخشوع .

فما بالك بقلب اللواء (حلمى الفقى) مدير الأمن العام وهو يستمع لنحيب هذه الأم التونسية الجنسية التى قطعت آلاف الأميال وأنفقت كل مدخرات عمرها وجاءت إلى القاهرة لتقول : ولدى .. ساعدنى يا سيدى فى العثور على ولدى قل لى أين ولدى أو أعيط عليه .. وأعيش راضية محرومة من النور .

احكى حكايتك .. يا سيدتى .

- اسمى (سالمة عمار العزيزى) منذ شهور جاء ولدى الشاب (صلاح الدين بن الهادى بن الطيب) إلى مصر .. ثم اختفى وانقطعت أخباره .. وكل ما أريد معرفته يا سيدى .. هل ولدى على قيد الحياة أم أن الأمانة ذهبت إلى صاحبها ؟

ومن اللحظة الأولى التى يرسل فيها مدير الأمن العام بلاغ الأم التونسية إلى العميد (عثمان موسى) مدير الشرطة الجنائية العربية يبدأ رحلة بحث شاقة عن الشاب التونسى ابن التاسعة عشر ، الذى اختفى فى مصر وكأنه (فص ملح وذاب) وطوال فترة البحث لم تتوقف الأم عن العودة كل أسبوع إلى مصر لتسأل عن مصير ابنها الغائب .. وفى كل مرة تعود فيها أكثر حزنًا وأكثر يأسًا فلا أحد يعرف على وجه التحديد ماذا حدث لـ (صلاح) !

فى البداية يلتقط العميد (عثمان موسى) مدير الشرطة الجنائية العربية خيطًا من الأم التونسية .. إنها تشير بأصابع الاتهام إلى شاب مصرى يعيش فى مدينة الإسكندرية ، وتقول إنه كان يتعامل فى التجارة مع ولدها فى ليبيا ، حين كان ابنها يذهب كل فترة ليتاجر ويوفر مصروفات دراسته الجامعية فى تونس ، وتقول إنها علمت أن ولدها اتهم شريكه المصرى بسرقة ٤٥٠٠٠ جنيه ليبى وعندما عاد الشريك إلى مصر أسرع ابنها خلفه .. ومن ذلك اليوم لا يعرف أحد عنه شيئًا .

لكن سرعان ما تأتى تحريات مدير الشرطة العربية بمعلومات خطيرة ومثيرة .

تقول تحريات العميد (عثمان موسى) : إن الشاب التونسى (صلاح) حضر إلى الإسكندرية بالفعل وأقام فى فندق (الجبل الأخضر) وقرر مسئولو الفندق أنهم فى مساء اليوم التالى لوصوله شاهدوه يعود مع (شخص آخر) كان يحمل علبة حلويات .

قال مسئولو الفندق : وبعد انصراف الشخص المجهول سمعنا صوت صراخ التونسى ووجدناه يتلوى من الألم ، ويبدو أنه تناول بعض هذه الحلوى ولا يعلم ماذا فيها . المهم أننا استدعينا سيارة إسعاف نقلته إلى المستشفى الجامعى .

ماذا حدث فى المستشفى ؟

قالت التحريات : إنه بعد علاج (صلاح) اختفى وتم تسجيل ذلك فى دفتر المستشفى تحت عبارة (المريض هرب) وتم إبلاغ الشرطة .

لكن ماذا عن شريكه المصرى ؟

تم القبض عليه وأحيل إلى النيابة التى تباشر التحقيق معه فدافع عن نفسه قائلاً إنه ذهب بالفعل إلى ليبيا وتعرف على الشاب التونسى (صلاح) وباع له ١٥٠ حذاء بمبلغ ١٢٠٠ جنيه

ليبى لكن (صلاح) طلب منه استعادة المبلغ بحجة أنه يريد السفر إلى تونس لرؤية والدته فرفض لأن الصفقة قد تمت وأعطاه ٩٠ جنيهًا من نقوده الخاصة ثم تركه وسافر إلى مصر ، ومن ساعتها لم يشاهده مرة أخرى .

النيابة : يفرج عن الشريك المصرى .. فلا توجد شبهة جنائية .. وتصل القضية إلى طريق مسدود .. أين (صلاح) ؟

ثم بعد أيام تدق الأم التونسية باب مدير الشرطة العربية .

ينهض الرجل من على مكتبه مسرعًا ليساعدها على الجلوس .

سيدتى .. للمرة العاشرة ترهقين نفسك بالحضور من تونس .. لقد كنت أكتب لك الآن برقية بآخر معلوماتى .

تهمس وكأنها تتوقع خبرًا سيئًا :

ـ هل عثرتم على جثة ابنى ؟

ـ أبدًا .. لقد التقيت بمواطن ليبى أكد لى أنه شاهد ابنك فى ليبيا .. بعد آخر مرة جاء فيها إلى مصر .

تصرخ بفرحة : يعنى ولدى على قيد الحياة .

يقول لها : أنا لم أقل شيئًا محددًا .. فقط أبلغتك بآخر معلوماتى .

تنهض مسرعة إلى الباب وكأنها تريد أن تطير : قلبى يقول لى إنه ما زال على قيد الحياة ، أنا مسافرة إلى ليبيا .. أنا قادمة إليك يا ولدى .

لكنها .. ما إن تصل إلى باب المكتب حتى تتوقف وتستدير فى حزن وخجل إلى العميد (عثمان موسى) .

وتقول : سيدى ماذا أفعل ؟ لقد صرفت حتى الآن ٢٠ ألف دينار وأنا أبحث عن ولدى .. هل تصدق أننى لا أملك جنيهًا واحدًا الآن ؟

يرد عليها مبتسمًا : سيدتى .. هل تقبلين منى هدية متواضعة .. تذكرة سفر إلى ليبيا ؟

★ ★ ★

جريمة .. عند الكوافير !

ـ «ماما .. عايزة أروح أعمل شعرى عند الكوافير .. » !

هكذا ظلت البنت (ج) تلميذة الإعدادى ذات الأربعة عشر عامًا تلح على أمها طوال أسبوع كانت تريد أن تصفف شعرها على الموضة مثل كثير غيرها من المراهقات فى عمرها اللاتى تراهن فى الشارع .

وأخيرًا وافقت الأم .

وأسرعت تلميذة الإعدادى وفرحتها تسبقها إلى محل الكوافير الذى يقع فى الشارع المجاور لشارعهم .. سوف تجلس فى الكوافير مع الآنسات الكبيرات وسوف تضع رأسها مثلهن تحت (السيشوار) !

عندما دخلت محل الكوافير .. كانت سعادتها قد وصلت إلى القمة !

جلست بين الزبونات المنتظرات ، تتصفح المجلات التى تحمل صور عارضات أزياء أجنبيات وعلى رأس كل منهن أحدث تصفيفة شعر .. واحتارت وهى تختار لنفسها تصفيفة تليق بها .

لكنها بمرور الوقت بدأت تشعر بالضيق !

كان الكوافير الذى استقبلها بترحاب شديد فى البداية .. قد بدأ ينظر لها ـ وهو يصفف شعر إحدى السيدات ـ نظرات غريبة .. هل كان يستكثر عليها أن تصفف شعرها مثل الكبيرات ؟

صحيح أن عمرها ١٤ سنة .. لكنها طويلة جميلة .. حتى يعطيها من يراها عمرًا أكبر من عمرها الحقيقى .

وزاد ضيقها عندما لاحظت أن الكوافير كان كلما أنهى تصفيف شعر زبونة .. تجاهلها وبدأ تصفيف شعر زبونة أخرى .. حتى الفتيات اللاتى حضرن بعدها !

وبدأت الزبونات ينصرفن واحدة وراء الأخرى .. حتى أصبح محل الكوافير خاليًا .. إلا منها ومن الكوافير نفسه .. الذى فوجئت به يغلق باب المحل من الداخل .. ويتجه نحوها وفى عينيه نظرات شيطانية .

سألته بخوف : ماذا تريد ؟

قال مبتسمًا (بسخرية) : ولا حاجة .. دلوقت بقينا وحدنا !

هجم عليها فقاومته بشراسة !

كانت معركة قصيرة غير متكافئة .. وصحيح أنها تمكنت فيما بعد من الهرب وفتحت باب المحل ولاذت بالفرار .. لكنها عندما عادت إلى البيت .. دخلت حجرتها وانخرطت فى البكاء ؛ لأنه استطاع أن يقبلها رغمًا عنها .. والأكثر من ذلك أنها لم تصفف شعرها !

ظهر اليوم التالى عندما خرجت من المدرسة .. فوجئت به ينتظرها داخل سيارة .

قال لها : اركبى .

ردت غاضبة : لا .

قال مهددًا : إذا لم تركبى .. سأقول لوالدك عن القبلة التى أخذتها منك فى المحل !

واحتارت ولم تعرف ماذا تفعل .. ركبت وهى خائفة مترددة .. ظل يسمعها كلامًا مثل الذى يقولونه فى الأفلام العاطفية .. شعرت أنها مسلوبة الإرادة وكأنها مخدرة .. ذهبت معه وهذه المرة لم تدم المعركة طويلاً !

وعاشت شهورًا مريرة .. تحمل سرها وخوفها .. حتى كان يوم وهى تقف فى طابور المدرسة أغمى عليها .. ونقلوها إلى حجرة الحكيمة .. التى ما إن فحصتها حتى أطلقت رغمًا عنها صرخة حسرة .

وقالت بهمس : البنت حامل !

أبلغت أسرتها الشرطة .. وتم القبض على الكوافير الذى اعترف .. وحتى لا تتسع دائرة الفضيحة وسترًا للبنت .. تم الاتفاق على أن يتزوجها الكوافير .. بعد أن زعموا أن شهادة ميلادها فقدت .. وحصلوا على شهادة تسنين تقول إن عمرها ١٦ سنة ويسمح لها بالزواج !

وانتقلت لتعيش فى بيت الكوافير !

كان متزوجًا وعنده أولاد .. وهناك بدءوا يضايقونها ويطلبون منها أن تتخلص من الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائها .. وخضعت وأجهضت نفسها .. وهنا فقط وبعد أقل من شهر من زواجها .. طلقها الكوافير !

وأسرعت إلى بيت أهلها فرحة بنجاتها .. لكنها توقفت فى ذهول على باب البيت .. كان هناك سرادق ونسوة يرتدين الملابس السوداء .. إنهن بعض قريباتها وعلى السلم اكتشفت أن أمها قد ماتت .

ماتت الأم .. حسرة على ابنتها !

منذ أيام .. وقعت الجريمة كان شقيقها الذى يكبرها بسنوات يمشى فى الشارع .. وفجأة شاهد الكوافير على باب المحل مع بعض

أصدقائـه .. وحـاول الانحـراف بعيـدًا عنـه .. لكـن الكوافـير راح يتحرش به بكلمات لا يليق ذكرها ، فيها اسم أخته الصغيرة .

وفارت دماء الأخ .

أسرع إلى الكوافير يريد إيقافه عند حده لكـن الأخير شهر فى وجهـه المقص .. فجرى الأخ إلـى البيت وعـاد كـالمجنون يحمـل سكين المطبخ .. طعن بها الكوافير طعنة .. أنهت حياته !

ويتم القبض على شقيقها .

ويعترف بالجريمـة وأسبابها أمـام (محمـد جويلـى) وكيـل أول نيابـة الحـوادث .. الـذى يـأمر بحبسـه ٤ أيـام علـى ذمـة التحقيـق وعنـدمـا تنتهـى الأيـام الأربعـة يذهب تحت الحراسـة مـع محاميـه (أحمد عبد اللّه عبد الرحيم) إلـى قـاضـى المعارضـات للنظر فـى تجديد أمر حبسه .

وبعـد أن يستمـع قـاضـى المعارضـات إلـى قصـة المتهـم يصـدر قراره : إخلاء سبيل المتهم بضمان محل إقامته على ذمة القضية !

★ ★ ★

اعتراف .. من وراء القضبان !

جلس العميد (محمد يوسف حافظ) مدير منطقة سجون القناطر يستمع فى ذهول إلى القصة التى ترويها السجينة (ص) وهو بين مصدق ومكذب .. لقد تعود الرجل بحكم خبرته فى العمل بالسجون على مبالغات السجناء وحكاياتهم الوهمية التى يختلقها خيالهم فى كثير من الأحيان !

لكن الدموع فى عين السجينة الشابة ذات الخمسة والعشرين عامًا كانت تنطق بصدقها ثم إنها أولاً وأخيرًا لاتنفى عن نفسها تهمة الاشتراك فى جريمة القتل .. والتى تقضى بسببها عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة ، إنها تعترف على نفسها .. لكنها فى الجزء الأخير من اعترافها تلقى بقنبلة ..

قالت السجينة (ص) : كنت السبب فى إلقاء بريئين فى السجن لم أعد أستطيع النوم .. ضميرى يؤرقنى .. وشبح الرجلين اللذين كنت أنا السبب فى أن يقضيا بقية عمرهما فى السجن يطاردنى فى كل لحظة .. أريد أن أعترف لأستريح !

العميد (محمد يوسف) يتصل باللواء (رضا عبد العزيز) مساعد وزير الداخلية ومدير مصلحة السجون .. الذى يطلب إجراء تحقيق فى الحال مع السجينة ذات الضمير المعذب .

ويجلس النقيب (علاء فاروق) ضابط مباحث السجن أمامها ليفتح محضرًا باعترافها ، تقول فيه : كنت أعمل فى محل حلويات وشاءت الظروف أن يتعرف ابن صاحب المحل على إحدى صديقاتى .. نشأت بينهما علاقة غرامية .. حرصت على أن أكون بعيدة عنها .. لأن أحد طرفيها ابن صاحب العمل .. والطرف الآخر صديقتى التى كانت مخطوبة لشاب آخر .. وفى يوم مشئوم طلب منى ابن صاحب العمل أن أرافقه مع صديقتى إلى المقطم بسيارته لتسوية خلاف حدث بينهما ذهبت معهما مضطرة .

وهناك بدأ الاثنان العتاب الذى احتد وتطور إلى مشادة .. وفجأة وقعت الجريمة .. انقض ابن صاحب المحل على صديقتى وأطبق على رقبتها وخنقها بالإيشارب الذى ترتديه فتقطعت أنفاسها ، ثم اختنقت وماتت !

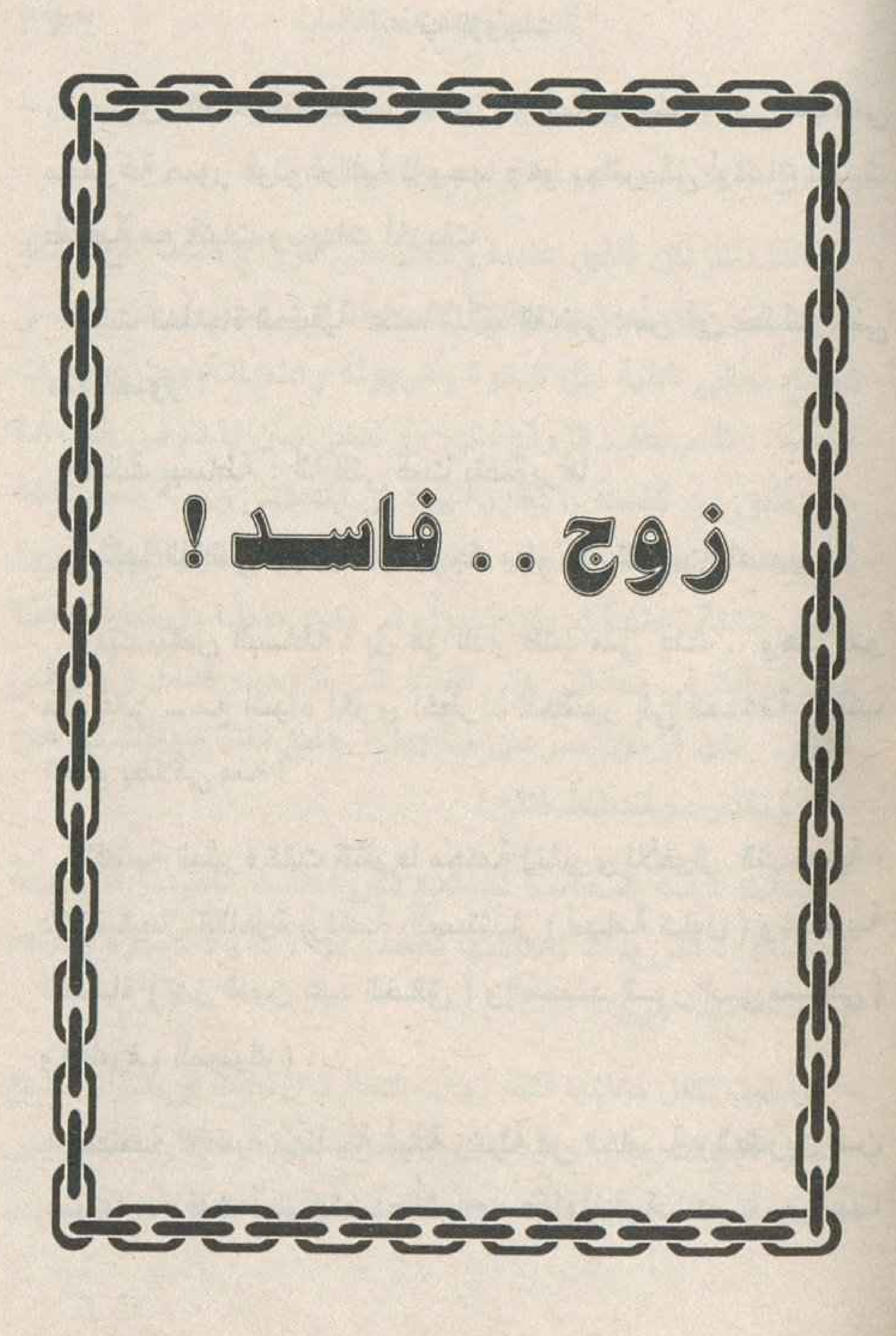
تكمل منفعلة وهى تتذكر تفاصيل الحادث : كأننى كنت أشاهد فيلمًا بوليسيًا .. وقعت الجريمة فى لحظات وأنا فى مكانى كالمشلولة غير قادرة على الحركة .. بينما قام ابن صاحب المحل بالتخلص من جثة صديقتى ، وأوصلنى إلى البيت وأنا فى قمة الرعب ، وفى المساء هددنى مع والده بأننى إذا فتحت فمى بكلمة واحدة فسوف يكون مصيرى القتل !

تواصل السجينة اعترافها : وبعد أيام فوجئت برجال الشرطة يقبضون على ، لأننى كنت آخر من شوهد مع صديقتى قبل مصرعها .. وفى التحقيق ظل تهديد ابن صاحب المحل يؤرقنى ولا أعرف لماذا فكرت فى إلصاق التهمة بخطيب صديقتى وابن خالتها ، وللأسف عندما تم القبض عليهما لم يستطيعا تحديد مكان تواجدهما ساعة الجريمة .. وإن ظل الاثنان ينكران الجريمة ، وقدمنا نحن الثلاثة إلى المحاكمة حيث صدر الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة لكل منا ، وهكذا جئت لتنفيذ عقوبتى فى سجن النساء بالقناطر وذهب الاثنان لقضاء العقوبة فى سجن أبى زعبل ، لكن كل يوم كان يمضى على فى السجن سنة ، لقد ألقيت ببريئين فى السجن دون ذنب ، ولا أستطيع تحمل فكرة أن يقضيا بقية عمرهما فى السجن .. وهأنذا أعترف لأريح ضميرى !

يتم إرسال محضر اعتراف السجينة إلى النيابة .. لتبدأ التحقيق للوصول إلى الحقيقة .

نعم .. يا ما فى السجن مظاليم !

★ ★ ★



لم تكن المفاجأة عندما قدمت الزوجة الحسناء إلى القاضى مجموعة صور فوتوغرافية لزوجها وهو يجلس فى أوضاع ليست طبيعية مع فتيات وسيدات أخريات .

كانت المفاجأة الحقيقية عندما سألها القاضى : من أين حصلت على هذه الصور ؟

فقالت ببساطة : أنا التى قمت بتصويرها .

سألها القاضى : وهل كان زوجك يعلم أنك تقومين بتصويره ؟

ردت بنفس البساطة : بل هو الذى طلب منى ذلك .. وهذا هو ما دعانى ـ مع أشياء أخرى أخطر ـ للحضور إلى المحكمة لأطلب الحكم بطلاقى منه !

القضية المثيرة كانت تنظرها محكمة زنانيرى للأحوال الشخصية ، دائرة شمال القاهرة برئاسة المستشار (أسامة كامل) وعضوية القضاة (عز الدين عبد الخالق) و(محمد أنور أبى سحلى) و(أشرف المملوك) .

صاحبة القضية مهندسة شابة جميلة فى الخامسة والعشرين من عمرها .. وقفت أمام القضاء تشرح دعواها ـ وقد اكتسى وجهها

الذى يبدو وكأنه وجه أحد تماثيل آلهة الجمال عند الإغريق ـ بمرارة كأنها شجرة صبار فى صحراء جافة !

قالت : لم أكن أتخيل عندما وافقت على الزواج منه .. أن هناك من البشر من أصابهم عفن الانحطاط إلى أسفل درك .. حتى تصبح معانى غالية مثل النخوة والرجولة والشهامة مجرد كلمات فارغة .. تقدم بطلب الزواج منى ووعدنى بأن يقدم لى السعادة على طبق من الفضة .. فإذا به يريد أن يقدمنى وجبة مستساغة على مائدة انحرافه وشذوذه .. عشت معه أيام الزواج وشهوره الأولى هانئة راضية لم يكن بخيلاً ولم يكن عنيفًا بل كان كريمًا معى ورقيقًا فى معاملتى حتى ظننت أننى تزوجت أفضل رجل فى العالم .. لكن الزمن سرعان ما جعله يخلع القناع ويكشف عن حقارة تفكيره وانحطاط خلقه !

كانت هيئة المحكمة تستمع فى اهتمام لقصة الزوجة الحسناء .. التى بدأت انفعالاتها تعصف بها وكأنها شجرة وحيدة وسط عاصفة هوجاء !

ومضت تكمل حكايتها قائلة : بدأت ألاحظ أنه يتحدث فى التليفون مع إحدى السيدات حديثًا وديًا للغاية يطول أحيانًا إلى ساعات غير عابئ بأننى إلى جواره أسمع المكالمة .

سألته مرة : من هذه المرأة ؟

رد ببساطة أذهلتنى : إحدى صديقاتى !

انفجرت فيه : ألا تهتم بمشاعرى .. هكذا بصراحة تعترف أن لك صديقة ؟

قال ببرود : وما المانع ؟ هل تفضلين أن أكذب عليك وأخفى علاقتى بها ؟ أنا شخصيًا لا أحب الكذب والحقيقة أننى دعوتها لقضاء السهرة معنا !

وصرخت فيه : هل أنت مجنون ، أم أننى فقدت عقلى ؟

رد بنفس البرود : لا تكونى رجعية .. (خليكى مودرن) !

كان الفضول قد استبد بالحاضرين فى قاعة المحكمة .. واتسعت عيونهم تأثرًا بالزوجة التى خانتها دموعها .. فأخرجت من حقيبتها منديلاً صغيرًا تمسحها به .

وواصلت كلامها : للحظات اعتقدت أنه يمزح لكنى فى مساء نفس اليوم فوجئت بامرأة تدق الباب .. وفتحت لأجد مخلوقة تختفى تحت أطنان من الماكياج الصارخة .. وتتلوى داخل فستان يكشف أكثر مما يستر ! رحب بها زوجى ودعاها للدخول وأنا

مذهولة مما يحدث .. وبدأت السهرة .. المرأة الخليعة تطلق ضحكاتها المستهترة وكلماتها البذيئة .. وزوجى المحترم إلى جوارها يجاريها ويعابثها .. وأنا لا أصدق عينى وكأننى فى كابوس مقزز .

وفجأة قال لى : ما رأيك أن تحضرى الكاميرا وتلتقطى لى صورة مع (فلانة) ؟!

لم أرد واندفعت خارج البيت إلى بيت أهلى وعقلى يكاد ينفجر من غرابة موقف زوجى .. لكنه حضر فى ساعة متأخرة من الليل وأعادنى .. وبدلاً من أن يعتذر أو يكذب زاعمًا أن ما حدث نزوة لن تتكرر .. عاتبنى على أننى لم أقم بتصويره وصاحبته .. بل وهددنى بأنها وأخريات سيحضرن إلى البيت وأن على أن أقوم بتصويره معهن .

* * *

سألته باشمئزاز : وهل ترضى بأن يكون لى صديق وأحضره إلى البيت ؟

فوجئت به يرد قائلاً بلهفة : ياريت !

رفعت عينيها اللتين غرقتا فى سيل من الدموع إلى هيئة المحكمة .

وقالت : هل ترضون أيها السادة لامرأة مثلى أن تعيش فى كنف رجل مثله .. لقد كان يجبرنى على تصويره مع صديقاته .. والأدهى من ذلك

أنه بدأ يدعو بعض أصدقائه للسهر فى البيت .. ثم يقترح عليهم أن يجالسونى مقابل أن يجالس زوجاتهم .. ولقد رفضوا جميعًا واستنكروا منه هذا العرض الشاذ .. ولقد حضر بعضهم معى الآن للمحكمة للشهادة بما حدث .. إننى لا أطلب محاكمته وإن كان يستحق المحاكمة على تفكيره المريض .. كل ما أطلبه من عدالة المحكمة أن تخلصنى من هذه الهاوية .. لأن الموت أرحم وأشرف لى من البقاء فيها !

الحكم بعد المداولة .

حكمت المحكمة بتطليق الزوجة من زوجها طلقة بائنة للضرر .. وألزمت الزوج بالمصروفات ومبلغ ١٠ جنيهات مقابل أتعاب المحاماة !

★ ★ ★

ولا مال قارون !

عرفته طوال الخمسة عشر عامًا الماضية ضابط مباحث ناجحًا .. يوم التقيت به أول مرة كان يرأس وحدة صغيرة خاصة بتعقب المجرمين الهاربين لتنفيذ الأحكام الصادرة ضدهم ، وكان يمكنه أن يتعلل بصعوبة القبض على الهاربين وسط زحام الملايين الذين تكتظ بهم القاهرة .. أو أن يكتفى بتطبيق القانون على (الغلابة) من الناس الذين يسهل محاصرتهم وتنفيذ أحكام الغرامات الصادرة ضدهم لأنهم باعوا الفجل على الرصيف بدون ترخيص أو باعوا زجاجة مياه غازية أزيد بقرش صاغ فى كشك سجائر !

عاهد صاحبنا نفسه منذ أن كان ضابطًا صغيرًا على أن ينفذ القانون على الكبار قبل الصغار واستخدام ذكائه وحاسته البوليسية فى مطاردتهم والإيقاع بهم وخلال سنوات كان قد أصبح واحدًا من أشهر وأكفأ رجال المباحث فى القاهرة .

ومرت السنوات بسرعة وأصبح صاحبنا يحمل رتبة (لواء) وما هى إلا سنوات أخرى قليلة وأحيل إلى المعاش ، وذهب لتسلم مكافأة نهاية الخدمة .. وعاد إلى بيته يحمل حصاد كفاح العمر ٢٤ ألف جنيه !

★ ★ ★

يتصور البعض أن الرجل (يستريح) عندما يحال إلى المعاش ! وهو تصور خاطئ لا يكتشفه الإنسان إلا حين يعيشه .. لأن مسئولية الأب لا تنتهى عند تعليم أولاده بل إن الأعباء تزيد والأثقال لا تترك الآباء هذه الأيام إلا عندما يغادرون الحياة ، ففى هذا الزمن الصعب الأب مسئول عن تأمين مستقبل أولاده ؛ لأنهم وحدهم لا يستطيعون ذلك .. واسألوا الآباء الذين كبر أولادهم !

ولم تكن المكافأة المتواضعة وحدها هى التى جعلت صاحبنا يقرر ألا يجلس فى البيت ويستسلم للشيخوخة وحالة (انتظار النهاية) التى يفرضها المجتمع على من أحيلوا للمعاش .. كان يشعر بمسئوليته وكان أيضًا يشعر بأنه مازال قادرًا على العطاء مازال يحمل فى جنباته حيوية وطاقة .. مازال شابًا (رغم أنف الستين) !

استيقظ من النوم وكله نشاط وحماس ..

وجمع زوجته وأولاده ووالدته العجوز التى تعيش معه وأخبرهم بالقرار الذى وصل إليه : سأكون محاميًا !

وبارك الجميع الفكرة رغم إشفاقهم عليه : فكيف يبدأ بعد الستين وليست له خبرة فى المحاماة سوى أنه يحمل مثل كل ضباط الشرطة ليسانس الحقوق .. لكن إصراره كان أكبر ، وبسرعة

فتح مكتبًا صغيرًا فى أحد شوارع (قصر العينى) ، ويوم افتتاح المكتب زاره أصحابه من ضباط الشرطة الذين ما زالوا فى الخدمة .. شربوا (الشربات) وباركوا له ثم انصرفوا وتركوه وحيدًا وسط باقات الزهور .. والمكتب الخالى من قضية واحدة !

لحظة .. وكاد الخوف واليأس يغلبه من التجربة التى لا يعرفها !

لكنه هتف من أعماقه كما تعود فى مثل هذه اللحظة طول حياته : يارب !

وبعد لحظات دق باب المكتب رجلان

كان أحد أقاربه يصطحب رجلاً عجوزًا ، وقال العجوز : إن تاجرًا تعرض لعملية احتيال من بعض النصابين الذين استولوا منه على نصف مليون جنيه ، وإنه (داخ) بين مكاتب عدد من المحامين دون جدوى .

ولم يؤجل صاحبنا المحامى عمل اليوم إلى الغد .. أسرع ومعه العجوز إلى مديرية الأمن وهناك تم استدعاء النصاب المتهم والذى كان قد أنكر على طول الخط معرفته بالتاجر ، لكن النصاب ما إن رأى المحامى حتى أسرع يحتضنه ويقبله أمام الضابط والعجوز ووسط دهشة الجميع بما فيهم صاحبنا نفسه .

وقال له النصاب : ألا تعرفنى ؟! لك حق فقد مضيت سنوات طويلة .. أنا (فلان) وكان رجال المباحث قد داهموا منزلى منذ عشرين سنة ولم يعثروا على شىء ، وأراد أحدهم أن يلفق لى تهمة .. لكنك كنت معهم وكانت رتبتك صغيرة ووجدتك تثور فى وجوه الضباط وترفض التلفيق .. فخافوا من غضبك وانصرفوا وتركونى فى حالى .. لن أنسى لك أبدًا هذا الموقف .

أطرق صاحبنا إلى الأرض وتنهد .. وكأن كل ذكريات عمله فى المباحث القضايا ، السهر ، المخاطر ، النجاح ثم المعاش قد أيقظتها كلمات المحتال .

قال النصاب : والآن .. جاء اليوم الذى أرد فيه لك الجميل ، أنا معترف بالاحتيال على هذا التاجر العجوز .. والآن أرجو أن تذهبوا بى إلى بيتى لأعيد له ما أخذته منه !

وفى تلك الليلة .. عاد صاحبنا إلى بيته وهو يحمل أتعاب أول قضية فى حياته كمحام .. بالضبط ٢٠ ألف جنيه !

★ ★ ★

لم يكن الأمر (فلوس) بالنسبة له !

فى أعماقه كـان يريد أن يواصل رسالته .. أن يشعر بطريقة ما أن لوجوده فائدة .. وأن عمله يمضى فى نفس إطار أفكاره ومعتقداته .. أنه ما زال (رجل العدالة) !

وبسرعة كان قد اكتسب ثقة الوقوف فى ساحات المحاكم .. ولم يكن يقبل الدفاع فى أى قضية إلا إذا كان مقتنعًا ببراءة المتهم فيها .. وتطوع للدفاع عن الفنان الراحل (مجدى وهبة) وأثارت مرافعته انتباه وإعجاب الجميع .. وبدأ المكتب الصغير يزدحم بعشرات الموكلين ، ثم وقعت له هذه .. (الواقعة) .

اتصل به قريب أحد المتهمين فى قضية (المخدرات الكبرى) والتى صدر فيها الحكم بإعدام ١٢ متهمًا بتهمة جلب أطنان من المخدرات لـ (مصر) وعرض عليه الدفاع عن هذا المتهم ، والذى كانت أوراقه قد أحيلت مع أوراق بقية المتهمين الاثنى عشر إلى المفتى !

وقال له قريب المتهم : إن المتهم برىء .. وإنه اختاره وهو فى السجن للدفاع عنه .. وإنه مستعد لدفع نصف مليون جنيه أتعاب !

وفى نفس اليوم كان الرجل قد أحضر العربون : ربع مليون جنيه !

وبدأ صاحبنا يعمل بجد فى القضية حتى عثر على ثغرة قانونية جعلته يتقدم بطلب « لرد المحكمة » وكانت أسباب الرد وجيهة ومقنعة ، لكنه فى اليوم التالى حمل ملف القضية بالكامل معه إلى البيت ـ ولم يكن الملف قد وصله كاملاً فى البداية ـ وبدأ لساعات يقرأ أوراقه فى انهماك شديد .. وفجأة انتفض وكأن عقربًا قد لدغه .. عندما وقعت عيناه على بعض سطور من تسجيل لمكالمة تليفونية جرت بين المتهم الذى يدافع عنه وأحد المتهمين فى الخارج .

وكان الثانى وهو من تجار المخدرات يقول للأول : لاحظ أن جرعة المخدر فى الأقراص التى صنعناها قوية جدًا وقد تؤدى لموت من يتعاطاها .

رد عليه المتهم : ما يموتوا .. فى ستين داهية .

سأله التاجر : وحا نوزع المخدر فين ؟

قال المتهم : فى أى بلد تعبانة .. فى مصر !

وظل يدور حول نفسه مثل الأسد الهائج .

وفى نفس اللحظة دق جرس التليفون .. وكان قريب المتهم وقال له بفرح : كويسة يا أستاذ حركة رد المحكمة دى .

قاطعه بحزم : بتتكلم منين ؟ ارتبك قريب المتهم وقال : ليه ؟

قال له : اسمع .. تعال .. حالاً .

سأله بدهشة : ليه يا أستاذ ؟

قال قبل أن يغلق التليفون : عشان تأخذ ملف القضية والعربون !

خلال المحادثة كانت والدته تؤدى صلاة المغرب وعندما انتهت التفتت إليه وسألته : إيه الحكاية يا (محمد) ؟

حار كيف يفسر لها وماذا يقول .

وأخيرًا قال لها : أبدًا يا حاجة .. حكاية نصف مليون جنيه كان ممكن أكسبها .. لكن مش مستريح .

قالت له بوضوح : ولا كنوز (قارون) يا بنى .. تساوى راحة الضمير !

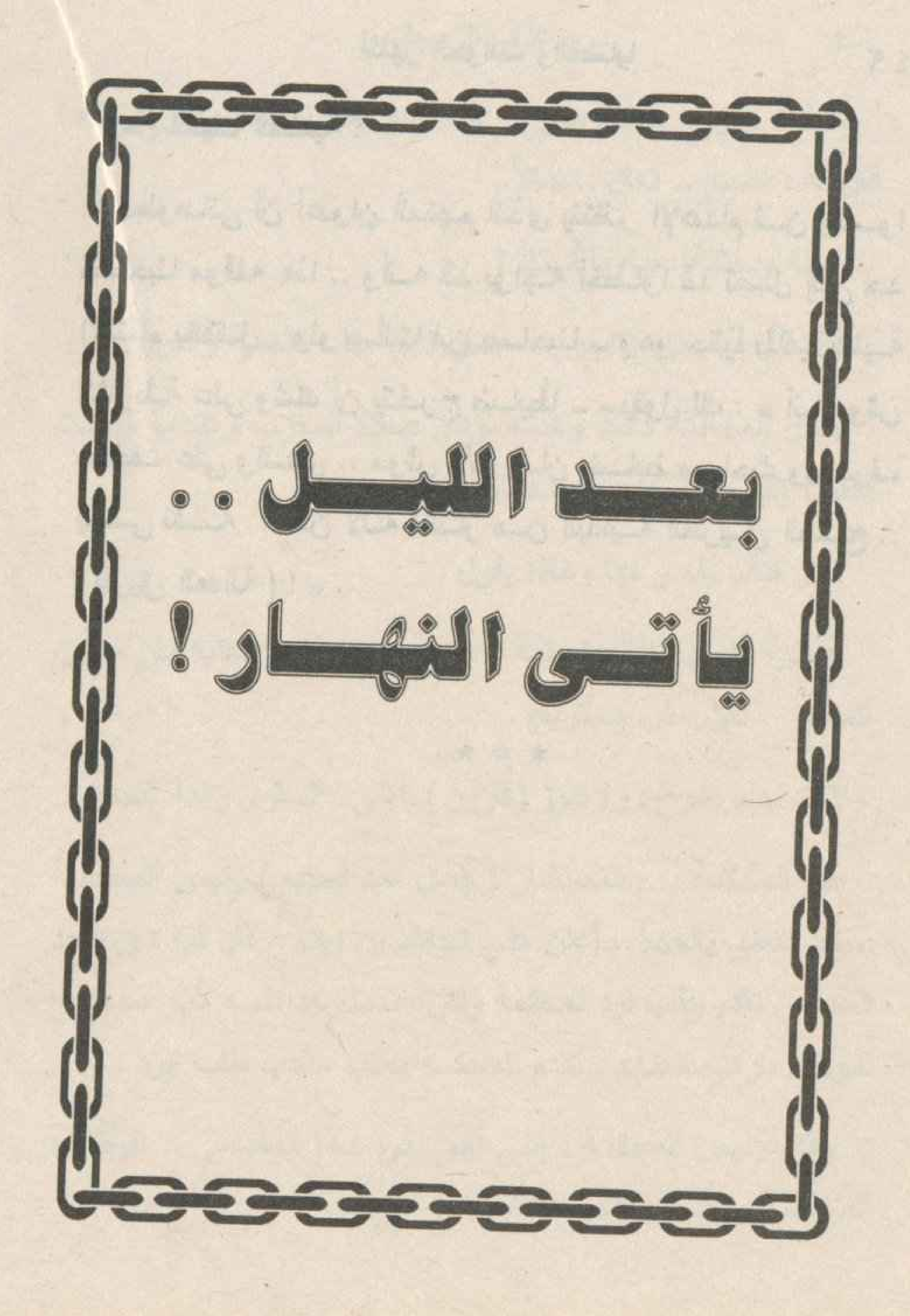
فى المحكمة .. والمستشار (جمال عبد الحليم) رئيس المحكمة يستعد للنطق بالحكم .. أعلن على الحاضرين بيانًا .. قال فيه : إن أحد المحامين تقدم بطلب لرد المحكمة ولكن عندما وجد نفسه غير مستريح لموقف موكله المتهم ، تقدم للمحكمة بطلب سحب طلب الرد .

وقال رئيس المحكمة : إننى أحيى فى هذا المحامى .. الوطنية المخلصة والضمير الحى النظيف .

هل انتهت القضية ؟

معلوماتى أن أعوان المتهم الذى ينتظر الإعدام لن ينسوا لصاحبنا موقفه هذا .. وأنه قد يواجه أخطارًا قد تصل إلى حد الانتقام بالقتل ، ولو سألت ابن صاحبنا ـ وهو حاليًا طالب بكلية الشرطة على وشك أن يتخرج ضابطًا ـ سيقول لك : « أنا موش خايف على والدى .. موش لأنه كان ضابط مباحث ويعرف يحمى نفسه .. لكن لأنه اختار من البداية الطريق الصح .. (طريق العدالة) ! »

* * *



بعد الليل لا بد أن يأتى نهار !

خرجت (زينات) من المبنى القديم وذابت فى زحام الناس الذين يكتظ بهم ميدان العتبة .. على محطة الترام وكانت تنتظر وتحدث نفسها مثل بقية الناس الذين يدقون أرض الشارع .

قالت فى نفسها : ونعم باللّه .. لا تغيب رحمته أبدًا عن عباده .. إنما هم الذين لا ترى عيونهم أبعد من أقدامهم ، وحين وصل الترام صعدت لتجلس فى أول مقعد مجاور للنافذة وانطلق الترام ، كأنه ذر ضغط على شريط ذكرياتها لتستعيد حكايتها مع الفقر والسجن .. والأمل من جديد .

هؤلاء ناس حياتهم متطابقة كأنها نسخة كربون .

فى حى شعبى ولدوا وفى نفس الحى عاشوا وفى نفس الحى سوف يموتون .. وكل الأحياء الشعبية فى القاهرة متشابهة فشبرا مثل الدرب الأحمر والدرب الأحمر هو الوجه الآخر من بولاق .

فى أحد هذه الأحياء الشعبية ولدت (زينات) .

فتحت عينيها على رائحة (البذنجان المقلى) طعامًا إجباريًا يفوح من البيوت القديمة المتلاصقة حتى لا تقع على أصحابها ، وكبرت

وسط أسرة فقيرة عائلها عامل لم يمنعه راتبه المتواضع من إنجاب نصف دستة من البنات جئن كلهن جميلات الوجه مثل أمهن .. فارعات الطول مثل والدهن ، وما أتعس حظ الجمال حين يولد من رحم الفقر والحق أن الرجل لم يقصر فى تربية بناته .

كان يحلم بأن يتعلمن جميعًا ويتخرجن فى الجامعة : الطبيبة والمهندسة والمذيعة ، ولكن الأحلام فى زماننا هذا تقتلها أو تحققها الفلوس .

وهكذا فإنه عجز عن تكملة المشوار مع بناته .. منهن من اكتفت بحصولها على الإعدادية ثم تتركها لتعمل فى مصنع حلويات تقضى معظم نهارها فى تغليف (البنبون) والشيكولاتة مقابل يومية لا تزيد عن الجنيه ، ومنهن من تزوجت أول عريس طرق الباب ولم يتبق سوى (زينات) وأختها الصغرى التى كانت (طفرة) بين البنات فأنهت دراستها الثانوية ودخلت كلية الهندسة .. وعاشت الأسرة تعانى حتى تكمل (الباشمهندسة) تعليمها لتحقق فى شخصها كل الأحلام التى ضاعت .

وهكذا فإنه عندما طرق ابن الحلال الباب طالبًا يد (زينات) أدركت فى أعماقها أن دورها فى التضحية قد جاء .. فقالت : (نعم) دون أن ترى حتى وجه عريس الغفلة .

كيف تقول لا للفرحة التى هلت فى عينى والدها حين جاء عريس يحمل عنه همها ؟

كيف تقول (لا) وهى عبء على البيت وعقبة فى طريق إكمال (الباشمهندسة) لدراستها وحصولها على الشهادة الكبيرة .

ثم لماذا (لا) والعريس لقطة كما أكدت أمها فهو ابن سوق (وكسيب) يعرف كيف يأتى بالفلوس من الهواء .. وافقت (زينات) فكانت الخطوبة يوم خميس وضعوا فيها عشرين لمبة كهرباء ملونة على مدخل البيت القديم واستأجروا (دستتين كراسى) وجاء الجيران والمعارف ورقصت أخواتها ، وارتدى والدها بدلة صيفى نصف كم لا يرتديها إلا لمقابلة الحكام .

وبدأت أيام الخطوبة .. والحق أن (زينات) ذهلت من كرم خطيبها فلم يكن يبخل عليها بشىء .. لأول مرة فى حياتها ترتدى طاقمًا كاملاً : فستانًا وشنطة وحذاء ، ولأول مرة فى حياتها تدخل محل كباب وتشاهد السينما الكبيرة التى فى وسط البلد ، لأول مرة يلمع الذهب ليس فقط دبلة الخطوبة التى تحلى أصابعها بل فى سلسلة (وغويشتين) اشتراها لها خطيبها .. الحق أنها بدأت تشعر بأنها تحبه .

شىء واحد كان يضايقها فيه أنه كان كثير الحديث عن صداقته بفنان شاب مشهور ، وقد كان من الممكن أن تشعر بالفخر لذلك لولا أنها قرأت فى إحدى المجلات أن هذا الفنان (مدمن مخدرات) .

فى اليوم المشئوم ، اصطحبها خطيبها للنزهة ، انطلقا أولاً إلى وسط البلد كالعادة .. وجلسا يشربان (البيرة) فى كافيتريا معروفة وعندها أخبرها خطيبها أنه لأول مرة سيصطحبها معه لزيارة صديقه الفنان استأذنته للذهاب إلى (التواليت) لإصلاح مكياجها ، وعندما عادت بسرعة لاحظت أن خطيبها كان يغلق حقيبة يدها بارتباك ، وقال لها إنه كان يضع علبة سجائره داخلها فلم تهتم .

انطلقا معًا إلى بيت الفنان .. لكن قبل أن يصلا فوجئت بسيارة تتوقف أمامها ويهبط منها ثلاثة شبان أشداء ، حين شاهدهم خطيبها وقف متسمرًا وقد أطرق برأسه للأرض .. ذهلت وهى تراه مستسلمًا لهم وهم يقومون بتفتيشه ، اكتشفت أنهم ضباط وكاد أن يغمى عليها حين أخذ أحدهم حقيبة يدها وفتحها وأخرج منها أنبوبة بداخلها كمية من سائل الماكستون فورت المخدر .

عبثًا حاولت أن تصرخ ببراءتها بلاجدوى ، حاولت إقناعهم بأنها لا علاقة لها بهذه المخدرات ، استمعوا إليها فى صمت .. وقبل أن يقتادوها مع خطيبها وضعوا القيد الحديدى فى يدها .

فى السجن عرفت (زينات) الحقيقة .. أن سبب المصيبة هو الفنان المشهور .. الذى خاف من تردد خطيبها عليه ، وأن خطيبها كان يعمل فى السر مروجًا للمخدرات ، وهكذا أبلغ الفنان عنه حتى (يقطع رجله) ويمنعه من زيارته التى قد تثير الشبهات حوله .

فى السجن كان عليها أن تقضى عامًا كاملاً .

وفوضت أمرها للّه .. لكن السجن لم يكن يخيفها فقد أحبها الجميع .. نزيلات السجن وضابطاته لهدوئها والتزامها بالتعليمات ، ولأنهم جميعًا عرفوا حكايتها . الذى كان يخيفها هو ما بعد السجن ، كيف ستخرج إلى الناس ؟ من سيقبل أن يوظفها للعمل عنده وقد أصبحت لها سابقة ؟

لكن (زينات) لم تفقد أبدًا الأمل فى اللّه .. كانت تؤمن فى أعماقها أن بعد الضيق فرجًا وأن بعد العسر يسرا ولهذا لم تدهش عندما زارتها فتاة رقيقة لا تعرفها قبل موعد خروجها من السجن بأسبوع .

وقالت لها : أنا الملازم أول (هالة بدر) .. خذى هذه الورقة بها عنوان .. أرجو أن تذهبى إليه فور خروجك من السجن .

العنوان : مبنى قديم فى ميدان العتبة .

وحين دخلت مكتب اللواء (عادل سليمان) مدير إدارة الرعاية اللاحقة استقبلها بابتسامة أب وطلب من الرائد (حمادة الهنيدى) أن يدرس حالتها وأن يقدم لها كل مساعدة ممكنة .

قال لها الرائد (حمادة) : الذى سوف يساعدك ضابط شرطة .. يرتدى نفس البدلة التى كان يرتديها ضباط الشرطة الذى قبض عليك .. ما فات مات والذى يهمنا الآن ما هو قادم .

قبل أن يقف الترام فى محطته الأخيرة .. ابتسمت (زينات) لنفسها .. همست : نعم (بعد الليل .. لابد أن يأتى النهار) .

★ ★ ★

راقصات .. وهيروين !

هو عاشق للسهر .. ولكن على طريقته الخاصة !

إنه لا يسهر (يعد النجوم) من أجل حبيبة غائبة .. ولا يسهر ليذاكر لتحضير رسالة الدكتوراه .. إنه يسهر من أجل عيون (الراقصات) .. وبالطبع خصورهن .. وتمايلهن على (الواحدة ونص) !

كل ليلة وحتى مطلع الفجر يسهر ..

يصفق للراقصات .. يقدم لهن باقات الورود .. يفرش (النقوط) تحت أقدامهن .. ألف .. ألفين .. ثلاثة آلاف .. ليأخذ قبلة (على الهواء) من الراقصة !

من أين يأتى بهذه الآلاف ؟

هذه هى الحكاية ؟

★ ★ ★

لنعترف بأن (الأماكن الليلية) مثل النوادى الليلية والكباريهات وغيرها .. ليست مقصورة على زبائنها فقط .. أحيانًا يتردد عليها (أشخاص آخرون) من أجل العمل لا السهر !

إنهم رجال المباحث الذين علمتهم التجارب أن الملاهى الليلية من الأماكن التى تجذب هؤلاء الذين أتخمت جيوبهم بالمال الحرام .. رجال المباحث لديهم حاسة غريبة لتصنيف هؤلاء وتحديد هويتهم ، وأنهم ليسوا من النوع (السهران) بحكم الطبقة الاجتماعية أو الحالة المادية .

وهكذا فإن المائدة رقم (٦) فى الملهى الليلى بالفندق المعروف على شاطئ النيل كانت دائمًا تجذب اهتمام وحيرة العميد (محمد الإمام) مفتش مكافحة المخدرات .. هذه المائدة دائمًا (محجوزة) بالقرب من المسرح .. سواء جاء صاحبها للسهر أو لم يجئ !

من هو صاحب المائدة رقم (٦) ؟

مقاول فى الخمسينات ابن موظف كبير بجهة حكومية .. شهرته (الكابتن) لا يقل ما ينفقه على طعام وخمور ضيوفه ـ معظمهم من النساء وبعض الممثلين المعروفين ـ وعلى نقوط الراقصات عن ٥ آلاف جنيه كل ليلة !

بطريقة ما يتمكن العميد (محمد الإمام) من الحصول على صورة (للكابتن) فى إحدى سهراته وينطلق بها على زميله العميد (عماد راشد) رئيس مكافحة النشاط الداخلى .. وطوال ساعات يتطلع الاثنان إلى الصورة ، إحساسهما يؤكد أنهما شاهدا هذا الوجه من قبل لكن أين ؟

ولا يهدأ الضابطان .. حتى ينطلقا إلى أرشيف إدارة مكافحة المخدرات ويقضيا ساعات أخرى فى البحث بين مئات الملفات وأخيرًا يعثران على ضالتهما .. صورة للكابتن لكن ليس (بالبذلة السموكنج) كتلك التى بدأ بها البحث .. إنها صورة للكابتن .. فى بذلة السجن الزرقاء !

وأمام مدير إدارة مكافحة المخدرات توضع المعلومات والتحريات :
إنه عاشق الراقصات الشهير بالكابتن ، سبق القبض عليه عام ١٩٦٢ فى قضية جلب حشيش بالاشتراك مع سوريين وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .. ثم خفض الحكم فى النقض إلى السجن ١٠ سنوات .. ونفذ الكابتن نصف العقوبة ثم أفرج عنه لحسن السلوك فى السجن !

تقول التحريات : إنه فى الفترة الأخيرة استغل معرفته وعلاقته ببعض منتجى الهيروين فى كراتشى .. وبدأ يجلب كميات كبيرة من هذا المخدر مستغلاً ذكاءه فى التخطيط لجلب الهيروين بواسطة حقائب يحملها أشخاص أبرياء لا علاقة لهم ولا معرفة بما يحملونه من سموم .. أو يسافر لجلبها بنفسه معتمدًا على مظهره واسمه المعروف .. وهو يستعين بفكهانى فى حى مصر الجديدة لعقد صفقات بيع الهيروين .

ويعقد اللواءات (سيد غيث) وكيل المكافحة و(محمد بركات) و(مصطفى الكاشف) عدة اجتماعات .. يرسمون فيها خطة الإيقاع بالكابتن .. وبعد أيام يقوم أحد مدمنى الهيروين من معارف الفكهانى بتقديم تاجر المخدرات المعلم (أبو أحمد) للفكهانى ، ويبلغه بأنه يريد شراء نصف كيلو هيروين .. ويبلغ الفكهانى معلمه الكابتن برغبة تاجر المخدرات .. ويتم الاتفاق على الثمن ١٥٠ ألف جنيه .. وتحديد موعد التسليم أمام أحد مطاعم مصر الجديدة المعروفة .

وفى الموعد المحدد ..

يحضر أولاً تاجر المخدرات المعلم (أبو أحمد) .. وبعد دقائق تصل سيارة (الكابتن) ويهبط من سيارته دون أن يدرى أن السيارة التاكسى التى تقف فى نهاية الشارع بداخلها العقيد (محمد فرحات) مفتش المكافحة والمقدم (خالد ممدوح) والرائد (محمد القصاص) .. وما إن يقترب الكابتن من تاجر المخدرات المعلم (أبو أحمد) ويتسلم منه حقيبة النقود ويسلمه حقيبة الهيروين .. حتى يفاجأ بالضباط ينقضون عليه من كل اتجاه .

فيصرخ فى المعلم (أبو أحمد) : انطلق بالسيارة بسرعة لنهرب من البوليس ! لكنه يفاجأ بالمفاجأة الكبيرة وهى تاجر المخدرات المعلم (أبو أحمد) .. فى لحظات يخرج من جيبه قيدا حديدًا ، ويقيده به .. وينزع المعلم (أبو أحمد) شاربه الصناعى .. ويقدم نفسه للكابتن المصعوق .. إنه العميد (محمد الإمام) !

وفى نفس اللحظة كانت مجموعة أخرى من الضباط تضم المقدم (ياسر أبو شادى) والرائد (محمد حمودة) تعثر على نصف كيلو هيروين فى سيارة الكابتن ، وعندما فتشت شقته تم العثور على كيلو هيروين آخر .. ويبلغ ثمن الهيروين المضبوط .. مليون جنيه !

ويباشر (محمد صابر) رئيس نيابة المخدرات و(محمد كـامل) مدير النيابة التحقيق مع الكابتن وشريكه الفكهانى الذى تم القبـض عليه فى نفس الليلة ويأمران بحبسهما على ذمة القضية .

★ ★ ★

نأسف للراقصات ..

لا تنتظرن عودة هذا (الزبون السقع) إلا بعد ٢٥ سنة .. وربما لا يعود أبدًا إذا تحدد له موعد مع عشماوى !

★ ★ ★

نشـال .. سيئ الحـظ!

الساعة الثامنة ونصف صباحًا ..

أتوبيس ٢٦ القادم من شبرا الخيمة والمتجه إلى ميدان التحرير ينطلق بأقصى سرعة مكدسًا بعشرات الركاب الذاهبين إلى أعمالهم فى الصباح .. لا مكان لقدم فى الأتوبيس المزدحم .. على كل مقعد أربعة ركاب بدلاً من اثنين .. الركاب (فوق بعض) والكمسارى المسكين ينحشر ذهابًا وإيابًا بينهم ليقطع لهم التذاكر .

يا بن الـ .. هكذا صرخ الأستاذ (فوزى) مغتاظًا من سائق الأتوبيس عندما لم يتوقف فى المحطة وانطلق بسرعته الجنونية ورغم كل ذلك لم يكن الأستاذ (فوزى) ممن ينهزمون بسرعة وعلى كل الأحوال كان لا بد أن يصل لعمله فى إدارة سوق الجملة والخضار بروض الفرج فى موعده .

وهكذا انطلق خلف الأتوبيس بكل همة ونشاط وكأنه موتور قوة عشرين حصانًا .. الأتوبيس يجرى والأستاذ (فوزى) يجرى خلفه كأنه فى سباق الماراثون .. أخيرًا يقترب من الباب الخلفى يفسح له الأربعة ركاب الذين احتلوا سلم الباب مكانًا لقدمه ، وبحركة بهلوانية لا يجيدها إلا من كان الأتوبيس هو وسيلة مواصلاته الوحيدة .. ينجح الأستاذ (فوزى) فى (الشعبطة) ويحتل مكانًا على سلم الأتوبيس .

بعد أن يلتقط أنفاسه يهمس بصوت مسموع : امتى بقى ربنا يتوب علينا ؟

يرد عليه الراكب زميل السلم والذى لا يعرفه : قول امتى بقى ربنا يأخذنا ونستريح ؟

بعد ثلاث محطات .. الزحام لم يخف كثيرًا لكن حركة الهابطين والصاعدين و(المتشعبطين) تتيح للأستاذ (فوزى) أن يدس جسده شيئًا فشيئًا إلى داخل الأتوبيس .. الأجساد متلاصقة رائحة العرق لا يمكن معرفة مصدرها ، وثمة رائحة طعمية تنبعث من لفافة يحملها راكب يرتدى بدلة وكرافتة ، ويغمض الأستاذ (فوزى) عينيه حتى لا يشاهد أو يسمع ما يعرف أنه يحدث كل يوم فى الأتوبيس .. شاب يدفع الركاب بكتفه حتى يضايق موظفة بيضاء تحاول الفرار من وقوفه خلفها .. راكب من السعداء الذين يجلسون على المقاعد يتصفح جريدة الصباح وبقية الجالسين يقرءون معه .. شيخ معمم يستعيذ بالله وهو يبتعد عن الشاب الذى يطارد الموظفة .

يتذكر الأستاذ (فوزى) أنه قد يتأخر .. فيرفع كم قميصه ليرى الوقت .

ثم يصرخ : الساعة .. يا أولاد الكلب !

يحدث هياج داخل الأتوبيس .. ويثير اكتشاف الأستاذ (فوزى) اختفاء ساعته حماس الركاب .

واحد يقول بسعادة : نطلع على قسم البوليس !

واحد تانى يعترض : بوليس إيه يا عم .. إحنا ورانا أشغال .. يا سيدى عوضه على الله !

الكمسارى للأستاذ (فوزى) : موش جايز يا أستاذ تكون أصلاً نسيت ساعتك فى البيت .. بتحصل فى كل العائلات !

يصرخ الأستاذ (فوزى) فى السائق : اقفل الأبواب يا أخينا .. والله العظيم لأفتشهم واحدًا واحدًا !

ووسط الضجيج يحاول شاب أن يقترب من الباب لكن عين الأستاذ (فوزى) التى أصبحت تطلق شرارًا ضبطته .

ـ قف عندك !

ويقفز الأستاذ (فوزى) فوق أجساد الركاب نحو الشاب الذى كانت عيناه تفضحان ارتباكه للسرقة .. هو النشال الذى سرق بكل تأكيد .. وعندما يصل الأستاذ (فوزى) إليه .. فجأة يخرج النشال من ملابسه مطواة قرن غزال ويشهرها فى وجه الأستاذ (فوزى) .

ويصرخ النشال فى يأس : اللى حا يقرب منى .. حا أقطعه حتت !

لا تستعجلونى وتسألونى : ما هى بقية القصة ؟

لأن بقية القصة مذكورة فى المحضر رقم ٩٢ بتاريخ ٩ فبراير بقسم شرطة الساحل .. حيث تمكن الأستاذ (فوزى) من القبض على النشال واقتياده إلى قسم الشرطة .

شيئان لم يذكرا فى المحضر : أن النشال نزل من الأتوبيس مثل (صباع كوفتة) تنزف منه الدماء بعد أن أعطاه الأستاذ (فوزى) علقة لا يمكن أن ينساها .. بل ويحتمل أنها ستكون السبب

الأساسى الذى سيجعل النشال يفكر فــى تغيـير مجـرى حياتــه ومهنته .

أما الشىء الثانى الذى لم يذكر فى المحضر : أنه من سوء حـظ النشال أن المجنى عليه المحاسب (فوزى محمد أحمد) .. هوايتــه المصارعة !

★ ★ ★

بــلاغ .. ضــد عفــريــت !

- صباح الخير يا حضرة الضابط .

- صباح النور .. أى خدمة ؟

- ممكن أعمل محضر تعدى بالطوب ؟

- ممكن .. لكن ضد من ؟

- ضد .. عفريت !

هذا الحوار الغريب الذى انتهى بالفعل بتحرير محضر حدث فى قسم شرطة عين شمس عندما توجهت (ماجدة محمود عمر) العاملة بمحل (إيهاب) للأحذية بشارع سيد أبى النجا إلى قسم الشرطة والدماء تنزف من رأسها .. بعد أن قذف (مجهول) طوبة من مكان ما طارت ودخلت المحل لتصطدم برأس (ماجدة) .

تقول (ماجدة) : هذه ليست الطوبة الوحيدة .. وأنا لست المصابة الوحيدة .

- كيف ؟

تقول بخوف : حدث ذلك منذ ثلاثة شهور عندما فوجئنا بوابل من الطوب ينهمر على فاترينة المحل الزجاجية ويحطمها فى بداية الأمر اعتقدنا أنه ربما يكون بعض الأطفال الأشقياء هم الذين قذفوا الطوب ، لكن الشارع كان خاليًا من الأطفال وقتها .. ثم بدأت عملية قذف الطوب بانتظام بعد الساعة الثالثة ظهرًا وحتى حلول المساء .. وكلما أصلحنا الزجاج انكسر من جديد .. وبدأ الطوب يحطم نوافذ شقة الجيران التى تعلو المحل .

- ربما يكون هناك خصومة بين صاحب المحل وأحد الجيران .

- صاحب المحل توفى وتركه لابنه الطالب الجامعى الذى أصبح مسئولاً عن ٨ أشخاص ، وهو شاب هادئ لا يهتم سوى بدراسته .. كما أن سكان الحى تعاطفوا معنا .. بل إن شباب الحى قاموا بعمل دوريات مراقبة للوصول إلى (قاذف الطوب المجهول) صعدوا إلى العمارات المجاورة فوجدوا أن الأسطح مغلقة ويستحيل أن يدخلها أحد .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- استمر وابل الطوب ينهمر .. وكانت النتيجة إصابة ثلاثة من الزبائن كما أصيب طفل كان يقف أمام الفاترينة ، وفشل أهل الحى فى العثور على مصدر قذف الطوب وأصابت الحيرة الجميع .. ولم تجد تفسيرًا سوى أنه لا بد من وجود عفريت شقى يهوى قذفنا بالطوب .. وعندما وجدنا الزبائن تخاف الاقتراب من المحل حتى لا يصيبها ما أصاب الآخرين .. وعندما أصابنى العفريت بطوبة لم أجد بدًا من اللجوء إلى الشرطة .

وماذا فعل رجال الشرطة ؟

تقول (فيوليت فتحى) صاحبة المحل المجاور : أبدًا .. حضر رجال الشرطة وقاموا بعمل معاينة للمكان .. وعندما فشلوا فى العثور على مصدر الطوب حرروا محضرًا بالواقعة طبعًا ضد مجهول .

وهل استمر قذف الطوب ؟

حتى صباح اليوم .. وقد أصيبت الفاترينـة بعد أن تكلف إصلاحها ٥٠٠ جنيه .

وهل تعتقدين فى حكاية العفاريت هذه ؟

إذا لم يكن العفريت .. فمن يكون ؟!

هذه هى كل تفاصيل القصة الغريبة .. وربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم !

★ ★ ★

المرة القادمة ..

لـــن نقــــول :

حصـــل خيـــر !

هذه ليست حادثة .. لكنها لولا ستر اللّه وشهامة الأستاذ (إسماعيل) كان يمكن أن تكون حادثة بشعة .. كان يمكن أن تكون حادثة تحل على رأس التلميذة اليتيمة هبة !

انتهت زيارة الأستاذ (إسماعيل فرحات) للإسكندرية .. وركب القطار العائد إلى القاهرة وهو يستجمع فى خياله الأيام التى قضاها فى الإسكندرية مرتاح البال ، فى القطار انشغل بقراءة الجريدة لأكثر من ساعة لم يرفع رأسه خلالها عن صفحات الجريدة إلا نادرًا ، لكنه أخيرًا فوجئ بمن يقتحم عليه خلوته .. يا أستاذ .. حضرتك مسافر إلى القاهرة ؟

نظر الأستاذ (إسماعيل) بدهشة للرجل الذى كان يقف إلى جوار مقعده واستغرب منه هذا السؤال .. فهو لا يعرفه كما إنه لا يرتدى زى مفتش القطار ليسأله مثل هذا السؤال .. لكن مع ذلك لم يكن لديه مانع فى الإجابة :

ـ نعم .. أنا مسافر إلى القاهرة .

قال له الرجل : إذن .. هل لديك مانع من توصيل (أمانة) إلى مصر ؟

بدهشة سأله الأستاذ (إسماعيل) : أمانة ! ما هى ؟

لم يرد الرجل وإنما أشار إلى شىء ضئيل كان يقف خلفه واتسعت عينا الأستاذ (إسماعيل) ذهولاً وهو ينظر إلى الأمانة

كانت طفلة صغيرة فى العاشرة من عمرها فى عينيها بحر دموع وفى يدها كيس صغير به ملابسها القليلة !

قال الرجل للأستاذ (إسماعيل) إنه لا يعرف هذه الطفلة لكنه وجدها فى القطار تبكى ، وعندما سألها عما بها قالت له إنها من القاهرة ، وإنها كانت فى رحلة بالإسكندرية مع بعض تلاميذ مدرستها ، حيث أقاموا فى معسكر للمتفوقين بالأنفوشى ، وإن بعض التلاميذ ضايقوها ، فتركت المعسكر عائدة إلى بيت أهلها فى القاهرة ، لكنها فى القطار شعرت بأنها لن يمكنها الوصول أبدًا إلى البيت فاستغرقت فى البكاء .

أخذ الأستاذ (إسماعيل) ينقل بصره بين الرجل والطفلة الصغيرة غير مصدق لقصة الرجل .

ثم سأل الطفلة بصوت حنون : صحيح يا شاطرة الكلام ده ؟

أومأت برأسها موافقة وقد غطت الدموع وجهها البرىء .. لكن الإيماءة لم تكن كافية لإقناع رجل دقيق مثل الأستاذ (إسماعيل) الذى يعمل مدرسًا فى إحدى مدارس حلوان .. فأفسح لها مكانًا بجواره على المقعد وأخرج منديلاً مسح به دموعها .

ثم سألها : إيه الحكاية بالضبط ؟

قالت (هبة) : أنا تلميذة بالصف الخامس بمدرسة الإمام محمد عبده الابتدائية المشتركة بباب الشعرية ، نجحت بتفوق فاختارونى للسفر مع المتفوقين فى معسكر الكشافة البحرية بالأنفوشى بالإسكندرية .. كان معسكرًا جميلاً وقضينا أيامًا حلوة لولا أن إحدى زميلاتنا وهى ابنة مدرس كانت تضايقنى باستمرار وتسخر منى ؛ لأنى أسكن فى حى باب الشعرية الشعبى ، وعندما فاض بى فكرت فى الذهاب إلى عمتى التى تعيش بالإسكندرية لتحضر وتستلمنى من إدارة المعسكر .. خرجت دون أن يعلم أحد وأنا أتصور أن الإسكندرية صغيرة .. لكنى فوجئت بعد أن مشيت أكثر من ساعة بالزحام والسيارات وأننى ضعت فى الشوارع .. وقفت أبكى فتوقف سائق تاكسى ليسألنى عما بى .. وعندما حكيت له حكايتى اصطحبنى إلى محطة القطار وقطع لى تذكرة وركبت القطار لكنى شعرت بالخوف ؛ فأنا لا أعرف حتى شوارع القاهرة فتجمع حولى الركاب وتطوع هذا الرجل الطيب ليحل مشكلتى .

سألها الأستاذ (إسماعيل) : موش خايفة يا (هبة) .. والدك يزعل لما يعرف أنك تركت المعسكر بدون إذن ؟

ردت ابنة العاشرة فى براءة : أنا عايشة مع ماما .. بابا مات من زمان !

اشترى لها ساندوتشات وشيكولاتة .. ولأنه رجل دقيق لم يتسلمها من الراكب هكذا .. وإنما أصر على تحرير (مذكرة) كتبها بنفسه وفيها أقوال الراكب الذى عثر على (هبة) .. وجعل بعض الركاب يضعون توقيعاتهم وعناوينهم وأرقام بطاقاتهم الشخصية كشهود !

لم يذهب بها إلى بيتها مباشرة ، بل ذهب إلى أقرب جامع من البيت دخل ومعه الطفلة الصغيرة .. حكى كل شىء لإمام الجامع .. وطلب منه إحضار أم (هبة) التى ما إن ظهرت على باب الجامع حتى اندفعت ابنتها إلى حضنها وتفجرت دموع الطفلة مرة أخرى .. واختلطت بدموع أمها التى لم تكن تدرى ما يحدث .. ولا لماذا ابنتها هنا وليست فى المعسكر مع زميلاتها بالإسكندرية .

كان الليل قد هبط .

غادر الأستاذ (إسماعيل) حى باب الشعرية سائرًا على قدميه يفكر .. ركب القطار عائدًا إلى بيته فى حلوان .. لم ينم جيدًا وفى الصباح كان فى مكتبى يروى لى الحكاية .

قال : كان ممكن أن أقول لنفسى : إننى عملت ما على وأرضيت ضميرى بتوصيل (هبة) إلى أمها .. لكن ضميرى لم يسترح !

سألته : لماذا ؟

قال : لا يجب أن تمر القصة هكذا بسهولة .. لا بد من التحقيق مع المشرفين على المعسكر .. لا يجب أن تنتهى القصة بالعبارة التقليدية المرفوضة (حصل خير) لأن الحقيقة أنه بالفعل لولا ستر اللّه ، كان يمكن أن تحدث أشياء كثيرة للطفلة (هبة) .. الخير آخرها !

★ ★ ★

أين أنت .. يا أبى !

فى زمن عجيب ينادى فيه الأولاد آباءهم بأسمائهم مجردة دون احترام ، فى أيام صعبة طالت فيها شوارب (العيال) وانحنت قامات الآباء .. فى عصر مرفوض يقول فيه الابن لأبيه حين يخاطبه : أنت !

فى مثل هذا الزمن مازال هناك من على استعداد لأن يدفع نصف عمره .. لكى يقبل يدى والده .. لكى ينحنى على الأرض ويمسح له ـ بكل الحب ـ حذاءه ، هذا الابن موجود ، لكن المشكلة أن الأب نفسه غير موجود !

هذه حكاية شاب جامعى فى التاسعة عشرة من عمره لم تهزمه الظروف المادية لم يشعر باليأس وهو يكافح الحياة من داخل حجرة فوق سطوح عمارة قديمة بحى الظاهر ، لا الدراسة صعبة فى نظره ولا غلاء الأسعار يهمه ، ومع ذلك فهو يعيش إحساسًا مريرًا قد لا يجربه كثيرون .. أنا ذاك الذى كتب عنه (إيليا أبو ماضى) قصيدته الموجعة : (جئت لا أعلم من أين لكنى أتيت) أنا إنسان على قيد الحياة لا توجد عندى شهادة ميلاد .

تخبرنى أنا ابن من فى هذه الحياة ؟!

أنا اسمى (جمال) .. أعرف والدتى تمامًا فقد فتحت عينى على الحياة لأجدها أمامى ، أما أبى الذى لا أعرف عنه سوى أن اسمه (على محمد شحاته) فقد كان دائمًا فى عينى مجرد صورة فوتوغرافية فى إطار صغير على (كومودينو) بجوار فراش والدتى .. هذه الصورة كانت كل ما لدى عن (بابا) ، كنت طفلاً فى الرابعة من عمرى حين سألت أمى ببراءة : لماذا لا يعود بابا ظهر كل يوم من عمله ليأكل الغذاء معنا مثل آباء أولاد الجيران ؟

قالت لى ببرود : بابا مات !

ويكمل (جمال) حكايته قائلاً : حين كبرت سنوات فوجئت بأنها تردد حكايات أخرى عن أبى .. أول حكاية كانت بمثابة صدمة قوية حين اعترفت لى بأنها ليست متأكدة من أنه مات أو أنه مازال على قيد الحياة ؟

صرخت فيها : يعنى إيه والدى عايش ولا ميت .. وإذا كان عايش .. فين ؟

لم تعطنى إجابة واضحة .. كأن جبلاً من الصمت والأسرار يرقد فوق لسانها فلا تستطيع الكلام ، فيما بعد قالت لى إن والدى كان يعمل مترجمًا فى اليونسكو فى العاصمة اللبنانية بيروت بل إننى من مواليد شارع الحمراء ببيروت وأن ثمة مشاكل قد حدثت ، ومع بداية الحرب الأهلية فى لبنان خطفنى أهل أمى من والدى فى بيروت وأحضرونى لأعيش معها فى القاهرة .

ثم عادت أمى لتروى حكايات متناقضة عن أبى مرة تقول لى إنها تراسله .. ومرة أخرى تزعم أنه اغتيل وأنها تخشى أن تبوح لى بمعلومات أكثر خوفًا على ، لكن قلبى أبدًا لم يصدق هذه الحكايات .. قلبى كان يقول لى إن أبى موجود .. كم من الليالى استيقظت فيها ، وهى نائمة ، وظللت فى الظلام وحتى الفجر أحدق فى الصورة الفوتوغرافية الصغيرة .

كلمته بدموعى الصامتة .. أين أنت يا أبى ؟! ولماذا أنا بعيد عنك ؟! لماذا قدرى أن أحرم منك ؟! أنا أقضى طفولتى وشبابى دون أب أحبه

وأحترمه أخاف منه وعليه .. آه لو تعلم كم أحتاجك .. كم تنقصنى نصيحة منك .. من يقول افعل هذا ولا تقل ذاك ؟! من ينهرنى إذا تأخرت فى العودة إلى البيت ؟! من يحذرنى من أصدقاء السوء ؟! من يفرح إذا نجحت ؟! من يمسح لى عرقى إذا كلت قدماى من البحث فى الشوارع عن عمل كى أستقل بحياتى وأنفق على دراستى .. من غير الأب ؟!

ينهى (جمال) حكايته بتأثر : استنفدت كل الوسائل مع أمى توسلت إليها .. صرخت فيها بكيت لها لكنها أبدًا لم تساعدنى ولم تعطنى أى خيط يقودنى فى رحلة بحثى عن أبى ، وهنا كان لابد مما لابد منه ، رحلت عنها وعن البيت حملت ملابسى وصورة أبى ، جاهدت حتى عثرت على عمل أنفق منه على دراستى ومعيشتى .. واستأجرت حجرة فوق سطوح بيت قديم ، أى وقت فراغ عندى غير العمل والدراسة أقضيه فى البحث عن والدى لابد أن أجده ذهبت إلى اليونسكو ، فقالوا لى : إنه بالفعل كان يعمل فى بيروت منذ ١٨ عامًا .. ذهبت للصليب الأحمر الدولى فوعدوا بمساعدتى .. الأيام تمر لكنى أبدًا لن يتولانى اليأس سأذهب إلى آخر الدنيا .. سأفعل أى شىء لكى أجده وساعة أن تكتحل عيناى برؤياه ـ قبل أن أغمر وجهه بقبلاتى ودموعى .. قبل أن أغسل يديه بمليون قبلة ـ سأنحنى على الأرض .. سأشكر اللّه وأقول : الأب لا يعوضه شىء فى الحياة !

★ ★ ★

فلذات أكبادنا .. فى المحكمة !

كأنه مشهد فى فيلم كوميدى : فجأة تحولت قاعة محكمة مصر الجديدة للأحوال الشخصية إلى ما يشبه حوش مدرسة .. عندما دخلت القاعة امرأة يحيطها من كل جانب ١٣ طفلاً وطفلة بالتمام والكمال !

أصيب (أشرف مصطفى كمال) قاضى المحكمة بالذهول وهو جالس إلى المنصة .. يشاهد ويستمع إلى ضوضاء (العيال) الذين لا يفرقون بالطبع بين قاعة المحكمة والشارع .. كان واحد منهم يمسك بذيل فستان أمه بينما كان الثانى يوجه لكمة إلى أخيه الثالث وانشغلت طفلة فى العاشرة بمسح دموع أختها الصغيرة فى نفس الوقت الذى كان أصغر الأطفال يصرخ طالبًا الذهاب إلى التواليت .. ومهددًا أمه بأنه .. سوف (يعملها) الآن !

رفست الأم ثلاثة من أطفالها كانوا يقفون أمامها .. وتقدمت من منصة القاضى لتروى حكايتها والدموع فى عينيها تزاحم كلماتها !

قالت : (أنا غلطانة) يا سعادة القاضى والغلط راكبنى من ساسى لراسى .. ما صدقتش كلام أمى وهى بتقول : يا مآمنة

للرجال .. يا مآمنة للمية فى الغربال .. حبيته وافتكرته شهم وإنسان .. وافقت على الزواج منه واديته ١٩ سنة من عمرى .. ولعت له صوابعى العشرة (شمع) خدمته بصحتى وعافيتى بالندامة .. يهرب من البيت ويسيب لى كوم العيال من غير ولا مليم .. أجيب لهم أكل منين وهدوم ومصاريف مدارس منين .. ولو كان فقيرًا كنت سكت .. لكن ده نجار قد الدنيا وبيعمل موبيليا وبيكسب ٣ آلاف جنيه فى الشهر .. إزاى ضميره يطاوعه يرمى لحمه ؟!

سألها القاضى .. طلباتك إيه يا ست ؟

قالت على الفور : الحق والمستحق .. عايزه نفقة لى ولأولادى .. أنا موش عايزاه هو .. أنا بس عايزه أربى العيال .. أما هو فمنه للّه يحاسبه يوم الحساب !

★ ★ ★

يندفع الزوج إلى المنصة بينما كان محاميه يحاول إقناعه بأن يتولى هو الدفاع عنه .. لكن الشر كان يتطاير من عين الرجل .. خاصة بعد أن كاد يتعثر على الأرض عندما اندفع أحد أطفاله وأمسك بقدمه وهو يصرخ : (بابا .. بابا) !

قال بحدة : بص لها كويس يا سعادة القاضى .. شوف لسان المظلوم ووش الظالم .. خلاص بقيت أنا السبب فى كل ده .. وربنا يعلم أنها هى التى ظلمتنى .. لما اتجوزتها ما كنتش عارف أنى اتجوزت أرنبة .. كان فى خيالى أخلف عيل والا اتنين لكن ١٣ يا مغيث يا رب .. الست دى يا سعادة القاضى ما تعرفش غير الخلفة والولادة .. متعتها الوحيدة فى الدنيا تجيب عيال .. كان سبوع مولود يخلص من هنا .. ألاقيها حامل بعد شوية .. دوامة يا سعادة القاضى .. لقيت نفسى عايش وسط جيش من العيال .. إللى عيان وإللى تعبان وإللى جعان .. عيال كتير أوى لدرجة أنى ما اعرفش كل أسمائهم .. وبقيت عايش فى بيتى كأننى فى الشارع .. ده ينام وده يصحى .. ده يعيط وده يضحك .. اتجننت وطار عقلى وأنا موش عارف أنام ولا أستريح فى بيتى .. إللى بقى مورستان .

قال له القاضى : أنت ما سمعتش عن حاجة اسمها تنظيم الأسرة ؟

صرخ الرجل : آه بتوع الدكتورة (كريمة مختار) .. أهم دول بقى إللى حايجننونى .. أنا طالب يا سعادة البيه اختصام هيئة

تنظيم الأسرة فى الدعوى .. ما هم لو كانوا ناس بيعملوا إللى عليهم ما كنتش واحدة زى مراتى عملت كده .. أنا طالب تعويض من تنظيم الأسرة لأنهم فشلوا فى إقناع مراتى .. وادى يا سعادة القاضى روشتات وتذاكر تؤكد أنها راحت تنظيم الأسرة بدل المرة عشر مرات .. وبرضه ما فيش فايدة .. حسبى اللّه ونعم الوكيل !

فى نهاية الجلسة ..

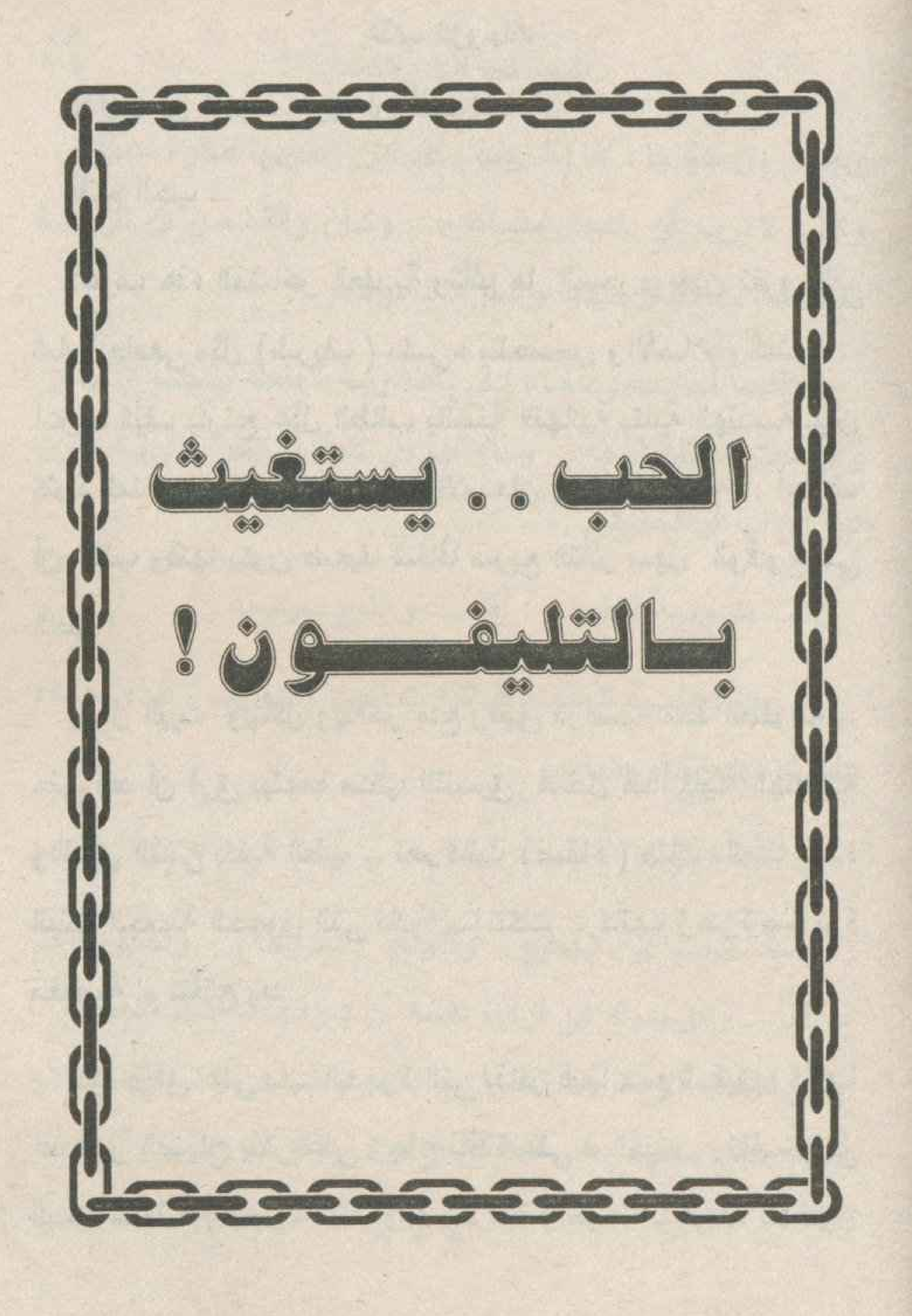
قال القاضى (أشرف مصطفى كمال) : أولاً : ترفض المحكمة طلب الزوج إدخال هيئة تنظيم الأسرة خصمًا فى الدعوى لانتفاء الصفة .. ثانيًا : لما كان من الثابت من الأوراق أن دخل الزوج يصل إلى ٣ آلاف جنيه شهريًا .. فإن المحكمة تقضى بإلزام الزوج بسداد نفقة للزوجة وأولادها مقدارها ألفا جنيه كل شهر .

سكت القاضى ثم نظر إلى الزوج الذى تسمر فى مكانه .. وقال له القاضى : تدفع النفقة .. وإلا تأخذ أولادك وتصرف عليهم ؟

لم يرد الرجل ..

فى لحظة خاطفة كان قد انطلق هاربًا من عياله الذين ما صدقوا وأسرعوا نحوه .. وهو يولى الأدبار وخارج باب المحكمة قال : (الألفين جنيه أرحم) !

★ ★ ★



لا أريد أن أكتب .. أريد أن أفهم !

أفهم الحب ..

أعرف هذه المشاعر العفوية وتأثيرها السحرى حين تغزو قلب شاب جامعى مثل (شريف) ملىء بالحماس والأحلام والفتوة .. أعرف كيف يترنح عقل الطالب بالسنة النهائية بكلية الهندسة بين كثرة المناهج وصعوبتها ورهبة الامتحان والخوف منه .. أعرف أن القلب وقتها يكون ضعيفًا شفافًا سريع التأثر سهل الوقوع فى الحب !

يدخل البيت ويأكل ويذاكر مع رفيق دراسته منذ الطفولة .. حتى بعد أن فرق بينهما مكتب التنسيق فدخل هذا كلية الهندسة والتحق الثانى بكلية الطب .. نعم كانت (صفاء) هناك دائمًا هذه البنت الجميلة الخجول التى نادرًا ما تتكلم .. كأنها زهرة صغيرة مغمضة لم تتفتح بعد .

تدق برفق على باب الحجرة التى يذاكر فيها مع شقيقها كأنها عصفور الصباح ينقر على زجاج نافذة على استحياء .. تقف على الباب حاملة (صينية الشاى) مترددة وأخوها يدعوها للدخول

ويبتسم من خجلها ، أما (شريف) فقد كان يحتويها بنظرة عابرة .. وكأنه لا يريد أن يتعجل مشاعره .. وكان واثقًا من أن الزهرة المغمضة تحتفظ برحيقها وعطرها له وحده .

وعندما نجحت (صفاء) فى الثانوية العامة بمجموع كبير واجتمعت العائلة فرحة .. يسألونها أى كلية ستختار .. ويرشحون لها الآداب أو الحقوق .

قالت بصوتها الخفيض : اقتصاد وعلوم سياسية .

ووسط دهشة الجميع استدارت نحو (شريف) الذى جاء يشارك الأسرة فرحتها ..

وسألته : موافق ؟

وساد صمت بين الجميع .. وتلجلج (شريف) .. وأخيرًا أومأ موافقًا .. وهو يدرك فى قرارة نفسه أن سؤالها له أمام الجميع .. يعنى سحب الاعتراف الجماعى منهم بمشاعرها نحوه .. الآن أصبح حبها معترفًا به .. بعد أن تفتحت أوراق الوردة !

* * *

أعرف مشاعر الخطيبين .

(الدبلة) فى أصبع يد (صفاء) اليمين تاج أنوثتها ، وحلقة تدور فيها أحلامها عن مستقبل أيامها مع شريك العمر .. (الدبلة) فى أصبع (شريف) تلمع بإصرار على أن يصنع مستقبلاً أفضل وقد تخرج وأصبح مهندسًا .. وكادت (صفاء) أن تنهى دراستها الجامعية .. يعنى الأيام والشهور محسوبة .. ولابد من الإسراع بتأثيث عش الزوجية .

شاطئ النيل عند المعادى كان شاهدًا عليهما ..

كم من المرات بعد الغروب جلسا أمام النيل يحلمان .. والأحلام حلوة لكن الواقع يصدمهما .. وإعلانات الجرائد تتحدث عن شقق تمليك ، أسعارها تنتهى الأرقام فيها بأربعة أصفار ! وما أصعب أن تخرج شقة تمليك لسانها .. للحب !

أعرف الغربة .. وعشت عذابها ! وأعرف الفرحة التى لابد أنها ملكت الخطيبين الشابين .. حين سنحت الفرصة وهبط من السماء على رأس (شريف) عقد عمل فى بلد عربى ، أخيرًا

سوف تتحقق الأحلام أخيرًا آن للحب أن ينتصر على الواقع وشقق التمليك .

وأدرك قدر المعاناة التى لابد أن (شريف) عاشها فى البلد العربى وحده عامين .. قبل أن يتمكن من استدعاء (صفاء) لتكون بجواره هناك .. لابد أنه تعب كثيرًا فى عمله .. فهم هناك يعطون الكثير لكنهم يستنزفون من العامل كل جهده .. لابد أنه قضى أيامًا كثيرة مغموسة فى الملل وهو يغسل ملابسه بنفسه ويعد طعامه بنفسه ، فإذا أقبل الليل ألقى بجسده المتهالك على الفراش .. ليحدث نفسه !

ولابد أنه بعد أن لحقت به (صفاء) وعثر لها بعد جهد على وظيفة .. قضيا الليالى يحسبان ما تمكنا من ادخاره .. وما يجب عليهما ادخاره .. لكى يتمكنا من شراء هذه الشقة فى المعادى القريبة من بيت عائلة (صفاء) .. والمبلغ المطلوب لتأثيثها ، ثم المبلغ المطلوب لشراء سيارة صغيرة تتسع (للأسرة) وقد انتفخت بطن (صفاء) واعدة بمولود قادم .. ولابد أنهما بعد أن جاءت (صفاء) بطفلة جميلة تشبهها وضعا فى حساباتهما عامين

آخرين فى الغربة ليعودا ومعهما رصيد معقول يواجهان به أعباء الحياة .

وأعرف مشاعر السعادة التى لا بد أنها غمرتهما وهما أخيرًا يعودان للوطن .. وما أحلى العودة للوطن حتى وإن كانت الشقة والسيارة والرصيد ثمار العمل فى بلد آخر !

أعرف الزواج .. لكننى لا أفهمه ! فما أجمل أن يوصد الباب على زوج وزوجة متحابين ! وما أروع أن يعيشا فى هدوء واستقرار .. بعد أعوام من الغربة والتشتت ! جميل أن يعود (شريف) من عمله فى نهاية اليوم وهو يحمل فى يده لفافة حلوى لصغيرته وفى قلبه وعد بمزيد من الحب لزوجته .. ورائع أن تستقبله (صفاء) بكل الحنان والعطاء .. فتنسيه هموم اليوم ومشاكل العمل .. وتقضى الأسرة الصغيرة الأمسية فى سرور يتحدثان ، يتضاحكان ..

★ ★ ★

هل يقتل الزواج .. الحب !

لماذا يتغير الزوج بعد سنوات ؟ لماذا تلتصق التكشيرة بوجهه إذا وضع قدمه على عتبة بيته ؟ لماذا يفقد الذاكرة اللغوية وينسى كلمات الحب وبدلاً من أن يهمس لها (أحبك) يصرخ فى وجهها : زرار القميص مقطوع كالعادة ؟

لماذا بعد أن تنجب الزوجة الأطفال تتحول إلى مخلوقة أخرى .. لا هى أنثى ولا هى رجل .. مخلوقة متعبة دائمًا (منكوشة) الشعر (مبهدلة) الملابس ، عصبية ومتحفزة للانقضاض وكأنها فى حالة حرب مع عدو لا مع زوج كان حبيبًا فى يوم من الأيام ؟!

لماذا بعد أن أنجبت (صفاء) طفلين آخرين لم يعد الجيران يسمعون ضحكاتها مع (شريف) وإنما صراخهما وشجارهما وعراكهما طوال الليل ؟

لماذا أصبح يتهمها .. بأنها مهملة للبيت حتى أنها أحضرت خادمة لتعد له وللأطفال الطعام ؟ ولماذا كانت تصرخ فيه طوال الوقت بأنه هو الذى أهملها وأهمل بيته وأطفاله وأصبح يتحجج بالعمل ليتغيب كل النهار وبعض الليل ، والله أعلم أين يذهب .

وكيف جرؤت يد (شريف) ذات ليلة على أن تنهى المشادة بصفعة قوية على وجه (صفاء) .. يده التى طالما قبلتها فى أيام الزواج والحب الأول ؟ ولماذا بعد أن لملمت ـ بعد منتصف الليل ـ حاجاتها وجمعت أطفالها الصغار وانطلقت إلى بيت أهلها غاضبة .. صفع الباب خلفها بقوة .

وصرخ بصوت عال : فى ستين داهية !

أعرف القانون .. لكنى أيضًا لا أفهمه !

وأعرف لماذا لجأت (صفاء) إلى النيابة بعد أن استحالت محاولات الصلح بينها وبين (شريف) .. وتعصب كل طرف لموقفه وأن الطرف الآخر هو المخطئ .

وقالت (صفاء) : الشقة من حقى .. ولن أتركها له ليتزوج فيها بعد أن يطلقنى .

وقال (شريف) : الشقة (بعينها) .. ولن تدخلها أبدًا ما دمت حيًّا !

لكنى لا أفهم .. قرار النيابة !

أفهم القرار نظريًا على الورق (تمكين الزوجة من شقة الزوجية لأنها حاضنة) كلام صحيح من الناحية القانونية لكن !

كيف تعود .. وهناك زوج ينتظرها بالويل والثبور ؟!

إن أحدًا لم يسأل نفسه هذا السؤال .. وفى نفس اليوم تركت (صفاء) أطفالها الثلاثة الصغار فى بيت أهلها ضاربة عرض الحائط بتحذيرات أمها .. ألا تذهب بمفردها للشقة .. لكن (صفاء) انطلقت إلى قسم الشرطة ومن هناك اصطحبت ضابطًا ليقوم بتمكينها كما قررت النيابة .. ونفذ الضابط مأموريته وأوصلها للشقة .

وأوضح لـ (شريف) أن زوجته تحمل قرارًا من النيابة بدخولها الشقة وأن عليه احترام قرار النيابة .. ثم انصرف الضابط !

وبعد ساعة اتصلت (صفاء) تليفونيًا بأمها .

وصرخت بصوت هيستيرى : الحقينى يا ماما ..

وانقطع الخط !

قال شقيقها الطبيب للعقيد (فاروق لاشين) مفتش المباحث وهو يبكى : أسرعت إليها بعد المكالمة .. أخذت أدق الباب فلم يفتح أحد .. قمت بمساعدة الجيران بكسر باب الشقة .. لم أجد (شريف) .. ووجدت أختى .. جثة هامدة !

وكالعادة فى جرائم القتل تم إخطار اللواء (ممدوح البرعى) مدير أمن القاهرة ..

وحين طلب العميد (فادى الحبشى) مدير مباحث القاهرة والعميد (محمود وجدى) رئيس المباحث من العقيد (سيد فريد)

الإسراع إلى مسرح الجريمة .. عثر على جثة (صفاء) على الأرض فى حجرة النوم ، كانت قد تلقت طعنة سكين فى رأسها .. ولكنها ماتت (مخنوقة) ؛ كانت آثار أصابع (شريف) لا تزال علامات زرقاء على رقبتها !

ويبدأ رجال المباحث تحرياتهم للقبض على الزوج الهارب .

تأكدوا أولاً أنه لم يغادر مصر .. ثم انطلق المقدمان (فتحى الدرديرى) و(حسن يحيى) والرائدان (محمد حسام) و(محمد عويس) يبحثون عنه فى الأماكن التى يحتمل أنه اختفى فيها .. وبعد أيام اكتشفوا أنه يختبئ فى شقة الخادمة بالهرم .. بعد أن كان قد عرف أنها سافرت لأهلها فى الإسكندرية .

وحين داهموا الشقة لم يقاوم (شريف) وإنما استسلم وهو يبكى .. يبكى زوجته الحبيبة التى قتلها فى لحظة جنون .. يبكى الحب .. ويبكى مستقبله الذى تحدد إما بحبل المشنقة أو بقضاء

بقيـة عمـره فى السـجن ، ويبكى المصـير المجهـول الذى سيواجهه ثلاثة أطفال صغار أبرياء .. لا يعرفون لماذا قتل أبوهم أمهم !

صدقونى .. لم أكن أريد أن أكتب .. كنت أريد أن أفهم ولم أفهم !

★ ★ ★

سقوط .. امرأة خطيـــرة !

ربما كانت هذه أفضل حيلة ابتكرها ضابط المباحث المقدم (على السبكى) : كان لا بد أن يدخل شقة (المرأة الخطيرة) ويعلم كم هى حذرة وماكرة لا تفتح بابها بسهولة ، فذهب إلى محل الهداية ، لم يشتر أية هدية .. وإنما طلب أن يصنعوا له صندوقًا فارغًا ثم يلفونه بأوراق الهدايا المفضضة .. وحمل الهدية الوهمية وبكل ثقة صعد العمارة ودق الجرس .. ومن الداخل نظرت (المرأة الخطيرة) فى العين السحرية ، شاهدت شابًا وسيمًا يحمل هدية فى يديه .. فسقط عنها حذرها ، وفتحت الباب ، لتسقط آخر شبكة للأعمال المنافية للآداب تمكنت زعيمتها من اصطياد ٢٧ فتاة وسيدة !

البداية كانت المعلومات وصلت للواء (عدلى القشيرى) مساعد وزير الداخلية ومدير إدارة مكافحة جرائم الأحداث تقول : إن أرملة (٥٩) سنة تدير شبكة للأعمال المنافية للآداب فى منطقة مصر الجديدة .. وإنها تستدرج بعض الفتيات والسيدات للمشاركة فى نشاطها المشبوه .. وذلك باستغلال ظروفهن الاقتصادية أو الاجتماعية السيئة .

وفى اجتماع حضره اللواء (أحمد أبو زيد) وكيل الإدارة والعميد (عبد الوهاب العادلى) رئيس قسم التحريات .. تم وضع خطة لمراقبة أفراد الشبكة والقبض عليهن فى حالة تلبس .

وتكشف تحريات العقيد (سامى سيدهم) والرائد (حسام عطية) أن زعيمة الشبكة مسجلة فى هذا النشاط المشبوه منذ عام ١٩٥٩ وترصد المراقبات والتسجيلات التى قام بها العقيد (مجدى

موسى) والنقيب (هشام الدمياطى) عن مدى خطورة زعيمة الشبكة وقدرتها الفائقة على اصطياد الفتيات للعمل معها ، فمرة تذهب لشراء ملابس من أحد المحلات وتدير حوارًا مع العاملة فى المحل ينتهى بأن تستدرج العاملة إلى مستنقع الأوحال الذى تديره ، ومرة أخرى تذهب إلى الطبيب فلا تخرج إلا بعد أن تقنع الممرضة بزيارتها فى بيتها ثم تورطها مع بقية فتيات الشبكة !

وتؤكد التحريات أن زعيمة الشبكة (امرأة خطيرة) بالفعل ؛ قد تمكنت من تجنيد ٢٧ فتاة وسيدة ، يساعدها فى ذلك سائق تاكسى وتاجر هو شقيق راقصة معروفة وصديقة لها يعمل ابنها محاميًا ! وأنها تختار أعمار الفتيات صغيرة تتروح بين ١٦ و ٢٧ سنة !

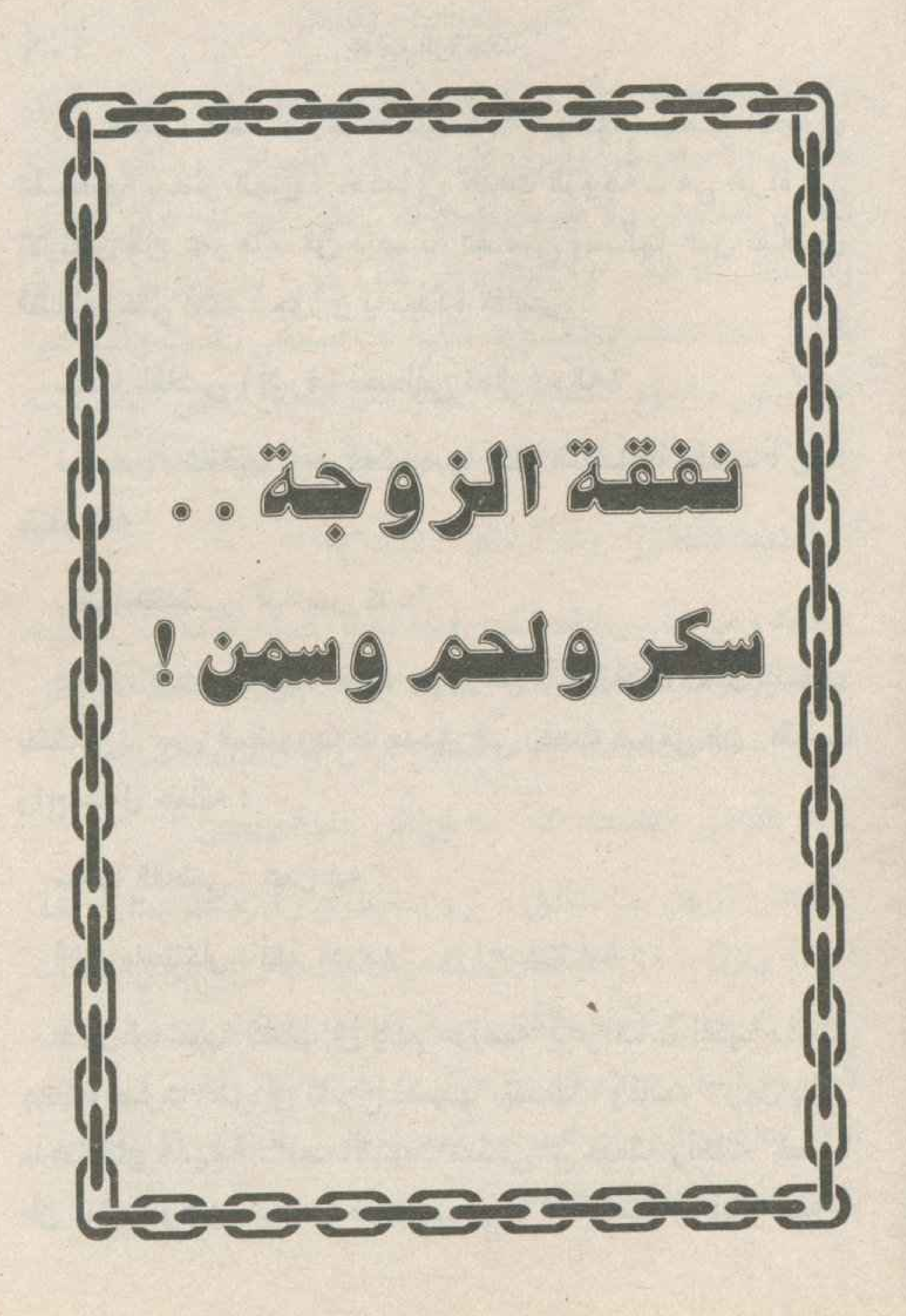
وتكشف التحريات أن (المرأة الخطيرة) فى منتهى الحذر والحيطة .

لا تقع تحت طائلة القانون وذلك بعمل (عقد زواج عرفى) بين عضوة الشبكة وراغب المتعة المحرمة .. ويتم تمزيقه فور انصرافه .. وبعض هذه العقود لم تستمر أكثر من ٨ ساعات !

ورغم ذلك فإن التحريات لا تتغاضى عن الظروف الصعبة لعضوات الشبكة ، هذه الظروف التى استغلتها (المرأة الخطيرة) فى توريطهن ، ومنهن الزوجة التى طلقها زوجها فقامت (المرأة الخطيرة) بتزويجها بعقد عرفى بعد يومين فقط من طلاقها ، ومنهن من انساقت لكلام (المرأة الخطيرة) المعسول وقدرتها على إحضار (عريس الغفلة) لها خلال يوم أو يومين !

وبناء على كل هذه التحريات يأمر (مصطفى رشاد) مدير نيابة آداب القاهرة بالقبض على جميع المتهمات وتبقى مشكلة دخول شقة زعيمة الشبكة التى لا تفتح باب شقتها لغريب .. لكن من هو الغريب الذى يمكن أن تطمئن إليه ؟ هذا هو السؤال الذى قاد المقدم (على السبكى) إلى حيلة الهدية الوهمية .. فقد تصورته زبونًا جاء يسترضيها .. فإذا به يضع القيود الحديدية فى يديها ويتم ضبط فتاتين فى حالة تلبس بالشقة .. ويأمر مدير النيابة بحبس جميع المتهمات والمتهمين .. ويذهب الجميع إلى المكان المناسب : السجن !

★ ★ ★



ربما كانت هذه أطرف قضية نفقة شهدتها محكمة الأحوال الشخصية بمصر الجديدة .. فما إن تقدمت الزوجة ـ هى امرأة فى الأربعين من عمرها ـ من منصة القاضى وسألها عن تفاصيل قضيتها حتى قالت : جوزى يا سعادة القاضى .

سألها القاضى (أشرف مصطفى كمال) ماله ؟

مصمصت شفتيها .. ورفعت يديها إلى السماء ، وقالت : ربنا ينتقم منه !

سألها القاضى : ليه بس كده ؟

قالت : فيه إيه لما ست وجوزها يتخانقوا .. كل الناس بتتخانق .. بس المضروب ما صدق إنى رفعت صوتى من هنا .. راح عامل عملته !

سألها القاضى : عمل إيه ؟

قالت باستنكار : أخذ هدومه .. وراح بيت أمه !

حاول محاميها الشاب أن يقدم عريضة دعواها .. لكنها دفعته جانبًا وأصرت على أن تشرح قضيتها بنفسها ، وقالت : رجل بليد ما عندوش شهامة .. بعدما ضيعت شبابى فى خدمته وأخذته غصبًا عن أهلى ، وكان سيد سيده بيجرى ورايا .. ما تمرتش فيه العشرة

ولا الخدمة ، يدخل البيتَ بوزه شبرين عليه سهم الله .. لا بقى طايق يكلمنى ولا يبص فى وشى ، قال إيه مش عاجباه .. ومش عاجبه شعرى المنكوش ولا هدومى المبلولة .. طيب هو كان ادانى فلوس ومارحتش لكوافير .. وإلا أولاده إللى هدوا حيلى بيرحمونى .. طوال النهار من المطبخ للغسيل ، لغاية لما صحتى راحت وأنا فى عز شبابى ، المهم اتخانقنا لما رجع من الشغل ولقى الأكل لسه على النار ، خلاص ما فيش صبر ، وكلمة منه وكلمة منى .

قاطعها القاضى : وكلمة منك .. كانت إيه ؟

قالت وهى تضرب كفًّا بكف : فيها إيه لما أقوله إذا ما كنش عاجبه عيشتنا يشوف له عيشة تانية .. فيها إيه لما أقول له الشقة من حق الزوجة .. القانون بيقول كده ، والتمثيليات فى التليفزيون بتقول كده .

رد القاضى مبتسمًا : لا .. ما فيهاش حاجة وبعدين ؟

قالت : الرجل ما صدق .. زى ما يكون ركبه عفريت .. أخذ هدومه ونزل .. أنا ما سألتش .. قلت دلوقت يجوع ويرجع غصب عنه .. أو يروح لأخته يلاقى جوزها ضربها يختشى ويرجع .. لكن لا حس ولا خبر .. لا رجع ولا سأل .. وفات يوم وعشرة .. وفى الآخر عرفت أنه راح بيت أمه قعد هناك .. بعت له الولد الكبير يقول : إحنا محتاجين فلوس .

سأل القاضى : وقاله إيه ؟

قالت وهى تصرخ : البارد التقيل .. قـال له ارجع لأمك ؛ أنا خـلاص طنشت ونسيت أنـى جوزها ونسيت أنـى أبوكم اعتـبرونى مـش موجود .. اعتبرونى مت !

سألها القاضى (أشرف مصطفى كمال) : وطلباتك يا ست ؟

قالت : الحق والمستحق .. مش من حقى أنا وأولادى نفقة ؟

قال لها : طبعًـا النفقـة شرعًا وقانونًـا مـن حقكم .. هـو مرتـب جوزك كام ؟

صرخت : ما ليش دعوة بمرتبه يا سعادة القـاضى .. أنـا عـايزة حقى ناشف !

سألها بدهشة : إزاى ؟

قالت : مش عايزة فلوس .. أعمل بيها إيه الفلوس ؟

سألها القاضى : أمال تأخذى النفقة إزاى ؟

قالت : أنا طالبة من المحكمة تحكم علـى جوزى كل شـهر بثمانيـة كيلو لحمة .. وعشر فرخات وستة كيلو سكر وأربعة أكياس عدس وفول ومكرونة و ٢٠٠ رغيف .. ده غير إيجار الشقة والكهرباء !

الحكم : طلب رئيس المحكمة من الزوجة أن تعدل طلباتها لأن النفقـة قانونًا لا بد أن تكون من دخل الزوج .. وحكمت المحكمـة للزوجـة وأولادها بنفقة شهرية قدرها ٨٠ جنيهًا .

وخرجت مـن المحكمة غير راضية .

وقالت لمحاميها الشـاب : والنبـى لأروح الاستئناف وحـا أطلـب فوق الحاجات دى ثمن الكوافير مرتين فى الأسبوع !

★ ★ ★

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

فهرس الكتاب « عذاب الزوجات »

- المقدمة 4
- لم أقتلك بعد يا زوجى العزيز 5
- زغلول محبة 12
- تذكرة سفر هدية 19
- جريمة عند الكوافير 25
- اعتراف من وراء القضبان 31
- زوج فاسد 35
- ولا مال قارون 41
- بعد الليل يأتى النهار 50
- راقصات وهيروين 57
- نشال سيئ الحظ 63
- بلاغ ضد عفريت 69
- المرة القادمة لن نقول حصل خير 73
- أين أنت يا أبى ؟ 79
- فلذات أكبادنا فى المحكمة 83
- الحب يستغيث بالتليفون 89
- سقوط امرأة خطيرة 101
- نفقة الزوجة سكر ولحم وسمن 105



الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



